مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية
اسم الكاتب: د. سامي مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2685
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 10:33 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية (251- 252هـ/ 865 - 866م)

د. سامي مرعي*

الملخص

عالَجَ هذا البحث الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية التي جرت بين المستعين والمعتز سنة (251- 252هـ/ 865- 866م)، واستمرت عشرة أشهر متواصلة بين قوات المستعين الذي تحصن ببغداد وقوات المعتز التي حاصرتها، وكانت بسبب الصراع والتنافس بين القادة الأتراك للسيطرة على الخلافة والتحكم بمقدراتها، وكانت بغداد والمناطق المحيطة بها ساحتها، فيعرّف هذا البحث بطرفي الصراع، ويبيّن الأسباب الأساسية التي أدت إليه سواء أكانت غير مباشرة أو مباشرة، واستعدادات الطرفين للحرب وقواتهما من حيث عناصرها وتشكيلاتها وتسليحها، والخطط العسكرية لكل منهما، وأحداث الحرب وأبرز وقائعها على أساس التسلسل الزمني، ثم نهايتها، ومفاوضات الصلح، ودور العامة في الحرب، وموقفهم من الصلح، وأسباب هزيمة المستعين، وآثار ذلك الصراع وتداعياته على المناطق التي جرى فيها، وعلى الخلافة العباسية والمناطق التابعة لها.

الكلمات مفتاحية: الخلافة العباسية، المستعين، المعتز، محمد بن عبد الله بن طاهر.

* أستاذ مساعد في قسم التاريخ - تاريخ العرب والإسلام – العصر العباسي.

The second war among the members of the Abbas family in (251-252A.H/ 865- 866AM)

Dr. Sami Muray *

Abstract

This search treats the civilized second war among the members of the Abbas family which took place between Al-Masten and Al-Mataz in (251-252A.H/ 865- 866AM), The war continued for ten continuing months between Al-Masten who castled in Baghdad and the forces of Al-Mataz circled them, that was of reason of struggling and competition among the Turkish leaders for controlling on the caliph and behaving of its abilities. Baghdad and the areas which was surrounded by it, where were its square.

The search define the two sides of fighting or conflicting and the main reasons which led it directly or indirectly. The prepares of the two sides for war, their forces of their elements, their origins, their armed, their military plans for each one of them, the events of war, its accidents according to its timed searl origin, then, their end, saved negotiation, the public role of war, their position of meeting. The reasons of failure of Al-Masten, the effects, the reasons of that struggle on the areas which took place in it upon, the Abbas caliph and the areas which were followed to it.

Key words: Abbas caliph, Al-Masten, Al-Mataz, Mohammad Ibn Abdullah Ibn Tahar.

* The History of Arabs and Islam – The Abbasid Agee.

المقدمة:

لم تحظَ الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية بأية دراسة مفصلة من قبل، ومعظم من كتب عنها من الباحثين[1]، جاءت دراساتهم عنها سريعة جداً، واقتصرت على الإشارة إليها دون التفصيل في أسبابها وأحداثها وآثارها وتداعياتها.

حدثت في العصر العباسي الأول (132- 232هـ/ 750- 847م) صراعات ونزاعات متعددة بين أفراد الأسرة العباسية على وراثة العرش، بسبب عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد، إذ كان الخليفة يختار لها من يجده مناسباً من أفراد أسرته، وغالباً ما يفضل أبناءه على غيرهم، وإن كانوا أقل المرشحين كفاءة لتلك المهمة؛ وممَّا زاد في حدوث تلك النزاعات، قيام الخليفة بتعيين أكثر من ولي للعهد بعده، فكان حين يعتلي أول المرشحين عرش الخلافة، يعمل على إقصاء ولاة العهد بعده، وحصرها في أبنائه، ويضاف إلى ما تقدم دور رجال البلاط والتكتلات السياسية في إذكاء تلك الصراعات لمصالح لهم في مرشح دون آخر، وقد وصلت بعض النزاعات إلى حد امتشاق السيف، كما في الحرب بين الأمين والمأمون التي تعرف بالحرب الأهلية الأولى بين أفراد الأسرة العباسية[2].

فلما كان العصر العباسي الثاني، ودخول الخلافة في دور ضعفها، لم تتوقف الصراعات بين أفراد الأسرة العباسية على السلطة، بل استمرت ولا سيَّما عصر النفوذ التركي (232- 334هـ/ 847- 945م)، ولكن أسباب تلك الصراعات اختلفت عن أسبابها في العصر العباسي الأول، إذ أصبح المحرك الرئيس لقيامها، النزاع بين القادة العسكريين الأتراك للتحكم بسلطة الخلافة ومقدراتها، مما جرَّ كثيراً من الويلات على

[1] من أبرز من كتب عن الحرب الأهلية الثانية: الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007م، ص52- 55؛ فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية، جزءان، دار الشروق، ط1، عمّان، 2003م، ج2، ص27؛ السامرائي، حسام قوام، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال المدة (247- 334هـ/ 861- 945م)، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1391هـ- 1971م، ص19- 24.

[2] عن الصراع بين أفراد الأسرة العباسية في العصر العباسي الأول، انظر: بيطار، أمينة، تاريخ العصر العباسي، ط4، جامعة دمشق، 1412هـ- 1992م، ص94- 109.

الحكم العباسي، وكان من تلك الصراعات: الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية التي جرت بين المستعين والمعتز (251- 252هـ/ 865 - 866م)، واشتركت فيها القوى الفاعلة كلّها في المجتمع العراقي آنذاك، فما أسباب الحرب بينهما؟ وما أحداثها؟ وما نتائجها؟ وما آثارها وماتداعياتها على الخلافة والحكم العباسي؟.

أولاً. تعريف بطرفي الصراع في الحرب الأهلية الثانية:

استعرت الحرب الأهلية الثانية بين المستعين والمعتز، فمن هما؟:

أ. المستعين: هو أحمد بن محمد بن المعتصم، يكنى بأبي العباس، أمه أم ولد صقلبية اسمها «مخارق»، بويع بالخلافة في الخامس من ربيع الآخر سنة 248هـ/ حزيران 862م، وهو اليوم الذي توفي فيه المنتصر[3]، عرف بالمستعين نظراً إلى أنَّه لما دعي ليبايع له بالخلافة، قال: «أستعين الله وأفعل، فسمي بالمستعين[4]».

وصل المستعين إلى الحكم باختيار من القادة الأتراك، وكان يعمل بالنسخ قبل ذلك، ولم يكن ابن خليفة، وهو أول من تولاها، ولم يكن من أبناء الخلفاء منذ الخليفة المنصور المتوفى سنة 158هـ/ 775م[5]، وكانوا قد اجتمعوا بعيد وفاة المنتصر، ومنهم: بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش، ومعهم أحمد بن الخصيب الوزير في عهد المنتصر، فوقع

---

[3] الطبري، محمد بن جرير (ت، 310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، 11جزءاً، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1326هـ- 1908م، ج11، ص82؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت، 346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، ليدن، مطبعة بريل، 1893م، ص363- 364؛ الخضري، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، كتب حواشيه: محمد ضناوي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2004م، ص251؛ المنتصر: محمد المنتصر بن المتوكل بن المعتصم، وأمه أم ولد رومية اسمها "حبشية"، بويع الخلافة في الليلة التي قتل فيها أبوه في 4 شوال سنة 247هـ/ 861م، واستمر خليفة إلى أن توفي مسموماً في الرابع من شهر ربيع الآخر سنة 248هـ/ 862م، فكانت خلافته ستة أشهر؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت، 284هـ/ 897م)، تاريخ اليعقوبي، مجلدان، بيروت، دار صادر، (د.ت)، مج2، ص493؛ المسعودي، التنبيه، ص362- 363.

[4] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت، 463هـ/ 1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، 14جزءاً، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1425هـ- 2004م، مج5، ص290.

[5] الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، 29جزءاً، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420هـ- 2000م، ج8، ص63.

اختيارهم عليه[6]، ولم يزل خليفة إلى أن خلع يوم الجمعة 4 محرم سنة 252هـ/ 26 كانون الثاني 866م، فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوماً، قضى منها حتى المحرم سنة 251هـ/ شباط عام 865م في سامراء، في حين قضى السنة الأخيرة من خلافته في بغداد، وقتل بعد تسعة أشهر من خلعه، وعمره خمس وثلاثون سنة[7]، كان نقش خاتمه: «في الاعتبار غنى عن الاختيار[8]».

ب . المعتز: هو أبو عبد الله الزبير بن جعفر المتوكل، وأمه أم ولد يقال لها «قبيحة» لحسنها، ولد بسر من رأى[9]، كان أبوه المتوكل قد عهد له بولاية العهد بعد المنتصر، فلم تتم الولاية له لأنَّ المنتصر أرغمه على خلع نفسه منها[10]، ولما كانت خلافة المستعين بعد المنتصر، قام بحبس المعتز وأخيه المؤيد حين انحدر إلى بغداد، فبقيا في السجن حتى كانت الفتنة بين قواد المستعين، فأُخرج من السجن، وبويع بالخلافة في المحرم سنة 251هـ/ شباط 865م، ولكن خلافته لم تستقر حتى خلع المستعين من الخلافة في المحرم سنة 252هـ/ كانون الثاني 866م[11]، واستمر الأمر له حتى خلع نفسه في يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة 255هـ/ تموز 869م، ومات بعد الخلع

---

(6) الطبري، تاريخ، ج11، ص82؛ ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، 11جزءاً، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1424هـ– 2004م، ج6، ص189؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت، 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، 33 جزءاً، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ– 2004م، ج22، ص218– 219.

(7) المسعودي، علي بن الحسين (ت، 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 7 أجزاء، تح: شارل بلا، انتشارات الشريف الرضي، ط1، (د. م)، 1422هـ، ج5، ص75– 76؛ التنبيه، ص363– 364.

(8) النويري، نهاية الأرب، ج22، ص228؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت، 821هـ/ 1418م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، 3 أجزاء، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط2، الكويت، 1985م، ج1، ص240.

(9) اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص500؛ المسعودي، التنبيه، ص364؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج2، ص120؛ ابن العمراني، محمد بن علي (ت، 580هـ/ 1184م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ– 1999م، ص128.

(10) الطبري، تاريخ، ج11، ص38، 75.

(11) المسعودي، مروج، ج5، ص74؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 52 جزءاً، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1411هـ– 1991م، (ح.و) 251– 260هـ، ص55.

بستة أيام، ودفن بسامراء، وعمره أربع وعشرون سنة، فكانت مدة خلافته منذ بويع له بسامراء أربع سنين وستة أشهر وأياماً، ومنذ بويع له بمدينة بغداد ثلاث سنين وستة أشهر وأياماً[12]، وكان نقش خاتمه «الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء[13]».

ثانياً . أسباب الحرب الأهلية الثانية:

تعود الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية أي بين المستعين والمعتز إلى أسباب متعددة، ويمكن تقسيمها إلى أسباب غير مباشرة، وأسباب مباشرة:

أ- الأسباب غير المباشرة: 1- ضعف الخلافة في العصر العباسي الثاني: وسيطرة القادة العسكريين الأتراك عليها سيطرة تامة، وكان أول من أكثر منهم الخليفة المعتصم[14]، فقد أنشأ منهم جيشاً اعتمد عليه[15]، فيما أسقط العرب من ديوان العطاء[16]، وكان لهذا العمل نتائجه الوخيمة على الدولة نظراً إلى أنَّ هذا العنصر الجديد لم يكن قادراً على فهم الأسس التي قامت عليها الدولة، وليس لديه أية خبرة بالإدارة، وبالتالي فإن ظهوره كان عاملاً من عوامل ضعف الخلافة وزعزعة قواعدها. ثم إن الظروف التي مرت بها الدولة ولا سيَّما مع نقل العاصمة إلى سامراء ثم تولي الواثق[17] الخلافة سنة 227هـ/ 842م[18]، أدت إلى استفحال دور الأتراك، فتدخلوا في

---

[12] الطبري، تاريخ، ج11، ص162؛ المسعودي، التنبيه، ص364- 365؛ مروج، ج5، ص78.

[13] القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص244.

[14] المعتصم: أبو إسحاق محمد بن الرشيد، وأمه أم ولد يقال لها «ماردة»، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون في رجب سنة 218هـ/ 833م، واستمر يتولى الخلافة حتى توفي في ربيع الأول سنة 227هـ/ 842م؛ اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص471- 478؛ المسعودي، التنبيه، ص352- 357.

[15] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تح: عبد الله الطباع، عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ- 1987م، ص606؛ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1988م، ص199؛ المناصير، محمد عبد الحفيظ، الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي، ط1، عمّان، 1420هـ- 2000م، ص119- 120.

[16] الكندي، محمد بن يوسف (ت، 350هـ/ 961م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت)، ص193.

[17] الواثق: أبو جعفر هارون الواثق بن المعتصم، أمه أم ولد رومية تسمى «قراطيس»، بويع بالخلافة في الثامن من شهر ربيع الأول سنة 227هـ/ 842م، ولم يزل خليفة إلى أن توفي في ذي الحجة سنة 232هـ/ 847م؛ اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص479- 483؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص9، 24.

[18] فوزي، الخلافة العباسية، ج1، ص280، 284.

سياسة الدولة، واستلموا المناصب الإدارية، وتلاعبوا بمقدرات الخلافة، وازداد هذا الأمر بوفاة الواثق سنة 232هـ/ 847م دون تعيينه ولياً للعهد، ممَّا فتح المجال أمامهم للتدخل في أعلى مراكز السلطة، وهو اختيار الخليفة، فكانت لهم اليد الطولى في اختيار المتوكل[19] للخلافة ومبايعته، فكانت هذه سابقة جرَّت الويلات على الحكم العباسي، ومنذئذٍ استفحل نفوذهم إلى درجة كبيرة في مؤسسات الدولة كلّها [20].

واجه المتوكل ازدياد نفوذ الأتراك، فكانت أيامه سلسلة نزاع صامت بينه وبينهم[21]، وقد اتخذ عدة خطوات للحد من نفوذهم، كالتخلص من زعيمهم إيتاخ، ومحاولة نقل العاصمة إلى دمشق، وبناء مدينة الجعفرية التي استقر فيها بدلاً من سامراء[22]، وتشكيله فرقة جديدة في الجيش من العرب والصعاليك، والعمل على تشتيت نفوذ القادة الأتراك، وتقليص نفوذهم[23]، ولكن تلك الخطوات لم تؤتِ ثمارها، إذ أقدم الأتراك على اغتياله في ليلة الرابع من شوال سنة 247هـ/ 11 كانون الأول عام 861م[24]، فكانت هذه أول مرة يجرؤ فيها الجند البرابرة على سفك دم الخلفاء والتعدي عليهم؛ ممَّا أدى إلى زوال حرمة الخلافة وهيبتها، وتكررت فيما بعد حالات الاعتداء على الخلفاء، ودخلت الخلافة بمقتله بحالة ضعف شديدة، ومحنة كبيرة، استمرت تسع سنوات أي حتى سنة 256هـ/ 870م، وتعرف تلك المدة بـ «فترة فوضى الأتراك[25]»، وفي خلالها حكم الخلفاء التالية أسماءهم، وهم: المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي، وتتميز هذه الحقبة باستبداد الأتراك لدرجة أنَّ الخلفاء صاروا ألعوبة بأيديهم، يولونهم ويعزلونهم حسب

---

[19] المتوكل: جعفر بن المعتصم، أمه أم ولد تسمَّى «شُجاع»، بويع بعد الواثق بالخلافة في ذي الحجة سنة 232هـ/ 847م، واستمر خليفة حتى قتل في الرابع من شوال سنة 247هـ/ 861م؛ اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص484- 492؛ المسعودي، التنبيه، ص361- 362.

[20] الدوري، دراسات، ص14، 37؛ السامرائي، المؤسسات، ص12.

[21] الدوري، دراسات، ص40.

[22] الطبري، تاريخ، ج11، ص33 - 35، 55- 57.

[23] المسعودي، التنبيه، ص361- 362؛ الدوري، دراسات، ص41- 42.

[24] الطبري، تاريخ، ج11، ص62- 66؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، جزءان، تح: حسان عبد الله المنّان، بيت الأفكار الدولية، الأردن- السعودية، 1425هـ- 2004م، ج2، ص1626.

[25] الدوري، دراسات، ص14، 49- 51: السامرائي، المؤسسات، ص14.

رغباتهم «من غير ديانة ولا نظر إلى المسلمين[26]»، وقد وصف هذا الحال ابن الطقطقي بقوله: «إن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا خلعوه، وإن شاؤوا قتلوه»[27]، فكان مصير الخلفاء الذين حكموا خلال تلك المدة القتل بأيدي الأتراك.

2ـ ضعف الخليفة المستعين: لم يكن اختيار القادة الأتراك لأحمد بن محمد بن المعتصم «المستعين بالله» عند اجتماعهم لاختيار خليفة بعد تخلصهم من المنتصر بسبب كفاءته أو مقدرته، بل بسبب خشيتهم من وصول أحد أولاد المتوكل إليها، فيثأر لأبيه الذي قتل غدراً من قبلهم[28]، ولكن هذا الاختيار لم يكن مرضياً للجميع، فقد أنكر بعض القواد البيعة له، فجرت منازعات بين الأتراك، إذ خرجت شرذمة منهم تنادي بالبيعة للمعتز بقولها: «يا معتز يا منصور»، فالتف إليهم بعض الناس، فيما قام معظم الجيش بنصرة المستعين[29]، فجرى قتال بينهما استمر ثلاثة أيام، انتهى بانتصار الأتراك، وتثبيت المستعين بالخلافة[30]، وكان على رأس المعارضين لاختيار المستعين للخلافة بسبب ضعفه بُغا الكبير الذي اقترح أن يتم اختيار من يتمتع بشخصية قوية، ويستطيع فرض نفوذه على الأتراك جميعهم، حتى لا ينقسموا على أنفسهم، ويتصارعوا فيما بينهم، إذ قال: «نجيء بمن نهابه ...، فنبقى معه، وإن جئنا بمن يخافنا حسد

---

[26] ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت، 685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ- 1997م، ص129.

[27] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت، 709هـ/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، ط1، حلب، 1418هـ- 1997م، ص239- 240.

[28] الطبري، تاريخ، ج11، ص82؛ ابن العمراني، الإنباء، ص123؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، 189؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 8 أجزاء، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2003م، مج3، ص347.

[29] الكتبي، محمد بن شاكر (ت، 764هـ/ 1362م)، عيون التواريخ (وفيه من سنة 219هـ إلى 250هـ)، تح: عفيف نايف حاطوم، دار حاطوم، عاليه، 1416هـ- 1996م، ص389؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص129.

[30] اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص494.

بعضنا بعضاً، فقتلنا أنفسنا[31]». وقد صدقت نبوءة بغا الكبير، إذ لم يكن المستعين بالرجل الذي يصلح لتولي الخلافة لضعف شخصيته، ما انعكس على واقع الدولة في عهده، وصفه ابن الطقطقي بقوله: «كان مستضعفاً في رأيه وعقله، وكانت أيامه كثيرة الفتن، ودولته شديدة الاضطراب، ولم يكن فيه من الخصال المحمودة إلَّا أنَّه كان كريماً وهوباً[32]».

3ـ استبداد القادة الأتراك بالسلطة، والصراع والتنافس فيما بينهم: فقد غلب على الأمر والنهي في عهد المستعين القائدان أوتامش وشاهك الخادم، وشاركتهما في ذلك أم الخليفة «مُخارق»، فكانت معظم الأموال تنقل إلى بيوت هؤلاء الثلاثة[33]، غير أن السلطة الحقيقية صارت لأوتامش الذي عقد له الخليفة على مصر والمغرب، وفرض نفسه على الخليفة وزيراً[34]، وكان يربي ابنه العباس بن المستعين، ويعلمه الفروسية[35]، فاستبد بالأمور، وأخذ أكثر ما في بيوت الأموال، غير أنَّ هذا لم يُرضِ وصيف وبغا، فأخذا يتآمران مع الجند ضده[36]، ممَّا أدَّى إلى انشقاق وتصدع في جبهة الأتراك، في الوقت نفسه كان بعض الجند مستائين من استيلاء الأتراك على مقدرات الدولة، وتحكمهم بالخلفاء[37]، الأمر الذي دفعهم للقيام بثورة ضد أو تامش ومحاصرته، فاستجار بالخليفة المستعين، فلم يُجِره، فقتلوه وقتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم[38]، ونهبت دورهما بموافقة الخليفة الذي كتب كتاباً إلى الولايات بلعن أوتامش[39].

---

[31] الطبري، تاريخ، ج11، ص83.

[32] الفخري في الآداب السلطانية، ص239.

[33] الطبري، تاريخ، ج11، ص86؛ الكتبي، عيون التواريخ، ص395؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص221؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت، 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1325هـ، ج2، 42.

[34] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص191؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص348.

[35] الكتبي، عيون التواريخ، ص395؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1629.

[36] الطبري، تاريخ، ج11، ص86؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص195؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص42.

[37] ابن العبري، تاريخ مختصر، ص129.

[38] الطبري، تاريخ، ج11، ص86؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص195؛ الكتبي، عيون التواريخ، ص395.

[39] اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص496.

لم يسترجع المستعين سلطته في إثر مقتل أوتامش، بل بقي خاضعاً لأوامر الأتراك، فقد حلَّ باغر التركي محل أوتامش في سلطاته، وكان قوياً شريراً وهو أحد قتلة الخليفة المتوكل، فأخذ وصيف وبغا يكيدان المكائد ضده، وتعاون المستعين معهما للتخلص منه، ولما أحس باغر بما يدبر له، هيأ جماعة من أتباعه، وخاصة من أولئك الذين بايعوه على قتل المتوكل سابقاً، وأخذ عليهم العهد للقيام بقتل المستعين ووصيف وبُغا، والمجيء بعلي بن المعتصم أو بابن الواثق إلى الخلافة، ولما بلغ خبر خطة باغر إلى الخليفة، كتب إلى وصيف وبُغا يستعتبهما[40]، غير أنَّ الكتلة المؤيدة لوصيف وبغا نجحت في قتل باغر، ما أدى إلى تأزم الوضع في سامراء، إذ ثار الترك أصحاب باغر، وحاصروا الخليفة المستعين وبُغا الصغير ووصيف في القصر بسامراء[41]، ممَّا دفع هؤلاء الثلاثة للانتقال إلى بغداد في نهر دجلة ومعهم جلّة العمال والكتّاب وبني هاشم وجماعة من أصحاب وصيف وبُغا، فوصلوا إليها في الخامس من محرم سنة 251هـ/ 7 شباط 865م[42]. وكان هذا الانتقال لصالح وصيف وبغا اللذين صار الأمر لهما[43].

ب ـ الأسباب المباشرة للصراع: تعود لرفض المستعين العودة إلى سامراء، ومبايعة المعتز بالخلافة، وقد سلفت الإشارة إلى أنَّ المستعين ووصيف وبغا انحدروا بأتباعهم إلى بغداد، فما السبب الذي دفع الخليفة للجوء إليها؟.

الحقيقة إن انتقال المستعين من سامراء يعود إلى رغبته في الابتعاد عنها، لأنَّها كانت مركزاً لتجمع الأتراك، واستبدادهم بأمور الدولة إلى بغداد التي لم يكن للأتراك فيها أثر كبير، وللاحتماء بأهلها الذين كانوا مستائين من سيطرتهم على مقدرات الدولة

---

(40) الطبري، تاريخ، ج11، ص95؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص207– 208؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص351– 352.

(41) أبو الفداء، المختصر، ج2، 43.

(42) الطبري، تاريخ، ج11، ص96– 97؛ مسكويه، أحمد بن محمد (ت، 421هـ/ 1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 5 أجزاء، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ– 2003م، ج4، ص163– 164؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص209– 210؛ ابن العمراني، الإنباء، ص125؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص352.

(43) المسعودي، مروج، ج5، ص59.

والتحكم بها منذ عهد المعتصم[44]، وقاموا في سنة 249هـ/ 863م بثورة ضد جماعة الأمراء الأتراك الذين تغلبوا على أمر الخلافة، واعتدوا على أشخاص الخلفاء، في حين أهملوا شؤون الدفاع عن المسلمين في الثغور[45]، أمَّا اصطحاب المستعين لبعض زعماء الأتراك، فيظهر أنَّه بهدف سلبهم قوتهم، وإبعادهم عن مصدر تلك القوة[46].

أحس الأتراك بحرج موقفهم بعد انتقال المستعين إلى بغداد، لأنَّ ذلك يُفقدهم كثيراً من امتيازاتهم، ويخرج الخليفة من نطاق تأثيرهم المباشر، لذلك حاولوا استرجاع ما فقدوه، فشكّلوا وفداً من زعمائهم[47]، أرسلوه إلى الخليفة ومعه «البُرد والقضيب وبعض الخزائن، ومائتا ألف دينار»، فسألوه الصفح عنهم[48]، وطلبوا إليه الرجوع، غير أنَّ الخليفة رفض العودة إلى سامراء مع أنَّه أظهر الرضا عنهم، وقبل اعتذارهم، ووعدهم بإرسال أرزاقهم بانتظام من بغداد[49].

غضب الأتراك لعدم استجابة المستعين بالعودة معهم إلى سامراء، لذلك قرروا خلع الخليفة، ومبايعة غيره[50]، فقصدوا السجن، وأخرجوا منه المعتز والمؤيد ومن معهما، فبايعوا المعتز بالخلافة بعد أن خلعوا المستعين، وبايعوا المؤيد بولاية العهد[51]، فأمر

---

(44) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص15.

(45) الطبري، تاريخ، ج11، ص85؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص193– 194؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص129؛ الكتبي، عيون التواريخ، ص394؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص220؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص42؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1629.

(46) السامرائي، المؤسسات، ص19.

(47) الطبري، تاريخ، ج11، ص67؛ (ذكر من زعماء الأتراك في الوفد: كلباتكين، بايكباك وأرناتجور).

(48) المسعودي، مروج، ج5، ص74.

(49) الطبري، تاريخ، ج11، ص98؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص164؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص210– 211؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت، 597هـ/ 1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 19 جزءاً، تح: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ– 1992م، ج12، ص42؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص223– 224.

(50) ابن العمراني، الإنباء، ص125.

(51) الطبري، تاريخ، ج11، ص98؛ المسعودي، مروج، ج5، ص74؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص42؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص211؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص352.

المعتز بتوزيع الأموال التي خلفها المستعين على الأتراك[52]، ووجهت كتب من سامراء بخلافة المعتز إلى سائر الأمصار الإسلامية[53]، وهذا يعني أنَّه أصبح هناك خليفتان عباسيان في وقت واحد في العالم العربي الإسلامي، هما: المستعين والمعتز، ما أدى إلى حرب أهلية بينهما، بسبب تنازع القادة الأتراك على السلطة، وهي تعد الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية، ومن جانب آخر تعدُّ صراعاً على النفوذ بين بغداد وسامراء، فمعظم مؤيدي المستعين كانوا من أبناء بغداد، ويضاف إليهم قلة من القادة الأتراك، في حين كان القائمون بأمر المعتز في أغلبهم من الأتراك.

ثالثاً. الاستعدادات للحرب وقوات الطرفين:

بدأت الاستعدادات للحرب مع مبايعة المعتز بالخلافة، ولما بلغ المستعين خبرها، أوكل أمر الدفاع عن بغداد إلى محمد بن عبد الله بن طاهر[54] الذي كان يتولاها، فاتخذَ جملة من الإجراءات لمواجهة الوضع الجديد، وما قد ينتج عنه، وأولها: عمد إلى محاصرة سامراء اقتصادياً، وذلك بقطع الميرة عنها من جهتي الموصل وبغداد، وكتب

[52] ابن تغري بردي، يوسف (ت، 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16جزءاً، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ- 1992م، ج2، ص398؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص43؛ كان المستعين قد خلّف بسامراء "في بيت المال خمسمئة ألف دينار، وفي بيت مال أم المستعين ما قيمته ألف ألف دينار، وفي بيت مال العباس بن المستعين ستمئة ألف دينار"؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص224؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص211؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

[53] المسعودي، مروج، ج5، ص74.

[54] أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي: أمير ابن أمير ابن أمير، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً ومألفاً لأهل العلم والأدب، كان قد قدم من خراسان سنة 237هـ/ 852م، فولي الجزية والشرطة، وإمارة بغداد، وأعمال السواد، ولما كانت سنة 248هـ/ 862م أضاف الخليفة المستعين إلى وظائفه إمارة الحرمين، وفي سنة 251هـ/ 865م أجار المستعين ودافع عنه عند حصار بغداد، ثم بايع للمعتز، توفي سنة 253هـ/ 867م؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص37؛ ابن خلكان، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 مجلدات، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، مج5، ص92-93؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص138، 190، 210- 228.

إلـى بعـض أتباعـه بالالتحـاق ببغـداد بأتبـاعهم، أو بالاسـتعداد وتجهيـز قـواتهم لوقـت الحاجة[55].

ولحماية المدينة أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد، وإنشاء سورين للدفاع عنها[56]، يحيط الأول بالجانب الشرقي، ويضم المحلات الآتية وهي: الشماسية التي تقع في أعلى بغداد[57]، ثم تليها جنوباً الرصافة، وتحتها المخرم التي تمتد حتى نهر المعلى جنوباً[58]، وهو سور نصف دائري يبدأ من ضفة نهر دجلة فوق الشماسية، وينتهي أيضاً بالنهر تحت المخرم[59]، ويحيط السور الثاني بالمحلات المهمة حول بغداد في الجانب الغربي ولا سيَّما محلة الحربية التي تقع شمال باب الشام[60]، وقد بُني السور بسرعة عجيبة، إذ كان الفراغ من بنائه في يوم الخميس لسبع بقين من المحرم، أي استغرق البناء فيه ثمانية عشر يوماً[61]، وجعل للسور أبواب داخلة وأخرى خارجة، وحفرت خنادق حول السورين، وبنيت مظلات ليأوي إليها الفرسان في الحر والأمطار، فبلغت النفقة على تلك التحصينات «ثلاثمئة ألف دينار وثلاثين ألف دينار[62]». وعززت الأبواب بالشدّاخات[63] والعرّادات والمنجنيقات، وشحنت بالرجال، إذ

---

[55] الطبري، تاريخ، ج11، ص100؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص165– 166؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص212؛ (فقد كتب إلى مالك بن طوق يطلب إليه المسير إلى بغداد بأهل بيته وجنده، وكتب إلى نجوبة بن قيس والي الأنبار في الاستعداد وجمع قواته).

[56] الطبري، تاريخ، ج11، ص100؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص166؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

[57] الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت، 626هـ/ 1299م)، معجم البلدان، 7 مجلدات، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، مج3، ص361.

[58] الحموي، المصدر نفسه، مج5، ص71.

[59] لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، (The Lands of the Eastern Caliphate)، تر: بشير فرنسيس– كوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1373هـ– 1954م، ص49؛ السوداني، عبد الله عبد الرحيم، "أسوار بغداد"، (مجلة المورد، بغداد، العدد الرابع، مج8، 1979م، 21 صفحة)، ص48.

[60] لسترانج، بلدان، ص49؛ السوداني، أسوار بغداد، ص48.

[61] الطبري، تاريخ، ج11، ص101.

[62] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص100؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص166؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص44؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص212؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص353.

[63] شَدَخَ – شَدخاً الرأس: كسره// و– الرجُلَ: اصاب مُشَدَّخهُ. شَدَّخَ الرأسَ: كسَّره. تَشَدَّخَ الرأسُ: تكسَّر. انشَدَخَ الرأسُ: انكسر؛ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط33، بيروت، 1992م، ص378، مادة (شدخ). ويظهر أن

جعل لكل منها دهليز بسقائف تتسع لمئة فارس ومئة راجل، ولعل في هذا ما يشير إلى أنَّ عدد الفرسان والرّجالة في هذه الدهاليز كانوا متساوين، وكلف بحماية كل باب قائد بأصحابه[64].

وسعى ابن طاهر قائد قوات المستعين إلى تجنيد أكبر عدد من القوات، فقد جند قسماً من أهالي بغداد، واستعان ببعض الخراسانيين الذين صادف مرورهم ببغداد في طريقهم لأداء فريضة الحج، كما جند قسماً من العيارين بقيادة عرفائهم، وهيأ لهم السلاح الذي تمثل في تراس من البواري[65] المقيرة والمخالي[66] لجعل الحجارة فيها للرمي[67]، هذا ويظهر من إجراءات التحصين والاستعداد للحرب التي اتخذت في بغداد، أن هجوم الأتراك أتباع المعتز على بغداد كان متوقعاً، ولعلهم كانوا متفوقين على قوات المستعين من حيث العدد والشراسة والعنف، ممَّا دفع قائد قوات المستعين إلى تجنيد كل من يستطيع تجنيده لتعويض ذلك النقص.

لم تقتصر إجراءات المستعين على ما تقدم، بل كتب إلى ولاة الخراج في الأمصار بحمل الأموال والواردات إلى بغداد، وكتب إلى الأتراك بسامراء يأمرهم بنقض بيعة المعتز، والوفاء ببيعتهم له، وجرت مراسلات بين المعتز ومحمد بن عبد الله بن طاهر، دعا فيها المعتز ابن طاهر إلى مبايعته بالخلافة، وخلع المستعين، فردَّ عليه ابن طاهر

الشدّاخات كانت عبارة عن ألواح من الخشب، وفيها المسامير الظاهرة، كانت معلقة على الأبواب بالحبال، وترسل على مقاتلي الأعداء إذا ما اخترقوا الأبواب، وأراد الدخول منها، فتصدم رؤوسهم؛ الطبري، تاريخ، ص100.

[64] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص100؛ مسكويه، تجاربه، ج4، ص166؛ ابن كثير، والبداية والنهاية، ج2، ص1631؛ عرف من أبواب الجانب الشرقي: 1- باب الشماسية، 2- باب البردان، 3- باب خراسان؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص102- 104، 111؛ وعرف من أبواب الجانب الغربي: 1- باب حرب، 2- باب الأنبار، 3- باب قطربل، 4- باب السلامة، 5- باب بغواريا، 6- باب الحديد؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص102، 116- 118، 127، 131.

[65] البوري، ج بواري، البُورِيَّة والبُورِياء: الحصير المنسوج من القصب، وبائعها البَوَّاري؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص54، مادة (بار).

[66] المخِلاة، ج مَخَالٍ: ما يُجعَل فيه الخَلى// ما يجعل فيه العلفَ ويعلّق في عُنُق الدابَّة؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص194- 195، مادة (خَلَى).

[67] الطبري، تاريخ، ج11، ص101؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص167- 168؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص44؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص212؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص224.

بأن دعاه إلى طاعة المستعين. وزيادة في تحصين المواقع الخاضعة لسلطة المستعين، أمر ابن طاهر بكسر القناطر، وثقب المياه بناحيتي بادوريا[68] والأنبار لعرقلة تقدم الأتراك إذا ما اتجهوا نحو الأنبار[69]، فما هو سبب الاهتمام بتحصين الأنبار، ومنع الأتراك من التقدم إليها؟.

دون أدنى شك يعود هذا إلى موقعها وأهميتها الاقتصادية، إذ كانت تقع في غربي بغداد، وعلى ضفة الفرات اليسرى، وعلى ضفة نهر عيسى الذي يصل بين نهري الفرات ودجلة، وكان صالحاً لسير السفن الكبيرة القادمة في الفرات باتجاه بغداد[70]، ومن ثَمَّ كان الاهتمام بتحصين هذه المدينة لسبب اقتصادي بهدف تأمين وصول المؤن والموارد والمنتجات الواردة في الفرات من بلاد الشام إلى بغداد.

أمَّا استعدادات المعتز للحرب، فإنه بعد أن بويع بالخلافة عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكل، وهو الموفق[71] على قيادة قواته، وفوّض إليه حرب المستعين، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي[72]، فتوجه نحو بغداد في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة، وألفين من المغاربة[73]، وقد أدت هذه التطورات إلى انتشار الفوضى، وعرضت الدولة للتفكك والانقسام، وأظهرت الخلافة بمظهر العاجز، وأصبحت الكلمة الفصل للقوة العسكرية التي صار لها زمام المبادرة والتحكم، لذلك كتب كل من الخليفتين إلى أمراء الأقاليم يدعوه إلى نفسه، ويطلب مؤازرته بالفرق العسكرية المتوافرة لديه، فتذبذب الأتراك وكبار القادة

---

[68] بادوريا: طسوج بالجانب الغربي من بغداد، تقع جنوب نهر الصراة المتفرع من نهر عيسى عند المحول، ويقابلها في شمال النهر طسوج قطربل؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص317؛ لسترانج، بلدان، ص49، 92.

[69] الطبري، تاريخ، ج11، ص101؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص167– 168؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص213.

[70] الحموي، معجم البلدان، مج1، ص257؛ لسترانج، بلدان، ص17، 91– 92.

[71] الموفق: أبو أحمد الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل (ت، 278هـ/ 891م)، ولي عهد أخيه المعتمد، حارب الزنج، ويعقوب بن الليث الصفار، فلما توفي خلفه ابنه أبو العباس المعتضد في التدبير بأمور الناس؛ المسعودي، مروج، ج5، ص134– 135؛ ج7 (الفهارس) ص445؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص458– 460.

[72] كلباتكين: قائد تركي من قواد المعتز، جاء إلى بغداد ضمن الوفد القادم من سامراء لإقناع المستعين بالعودة إليها، جعل له المعتز تدبير الجيش الذي وجّهه إلى بغداد بقيادة أبي أحمد الموفق؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص97، 102.

[73] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص102؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص213– 214؛ (جعل عدد الأتراك والفراغنة خمسين ألفاً)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

بين الانضمام إلى أحدهما[74]، فانحاز إلى المعتز موسى بن بغا، وعبد الله بن بُغا الصغير، وجماعة من الأتراك الذين مع بغا الشرابي في بغداد[75]، وفي هذا ما يشير إلى انحياز معظم الأتراك إلى جانب المعتز، ولعل دافعهم هو شعورهم بأن سيادتهم متعلقة بنتيجة تلك الحرب[76]، في حين انضم إلى المستعين الحسن بن الأفشين وأسد بن داود سياه[77].

كان جيش المعتز يتألف من ثلاثة عناصر رئيسة هي: الأتراك والفراغنة والمغاربة[78]، أمَّا الأتراك: فكان جلّهم من أبناء بلاد ما وراء النهر ولا سيَّما الصغد، وفرغانة، وأشروسنة، وسمرقند، والشاش، وخوارزم وتركستان وغيرها[79]، والفراغنة: هم أهل فرغانة[80]، ومع أنَّهم من الترك، غير أن المصادر ذكرتهم بشكل مستقل إلى جانب الأتراك، ويظهر أنَّ تسميتهم من بين أبناء جنسهم يعود لأنَّ كتلتهم كانت كبيرة، ولعلها كانت توازي مجموع الأتراك الآخرين أو أكثر. ويعود أكثر المغاربة إلى أصول عربية من أحواف مصر[81]، وكان أول من استخدمهم الخليفة المعتصم الذي اصطنع قوماً منها، ومن عصبيتي قيس ويمن، وسمّوا المغاربة[82]، تمييزاً لهم عن الترك الذين عرفوا بالمشارقة[83].

---

(74) مسكويه، تجارب، ج4، ص168.
(75) الطبري، تاريخ، ج11، ص101– 102؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص213.
(76) الدوري، دراسات، ص54؛ السامرائي، المؤسسات، ص22.
(77) الطبري، تاريخ، ج11، ص102؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص44–45.
(78) الطبري، تاريخ، ج11، ص102، 117؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص353؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص214.
(79) البلاذري، فتوح، ص606؛ الدوري، تاريخ العصر العباسي الأول، ص199؛ المناصير، الجيش، ص120.
(80) فرغانة: هي مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص253.
(81) أحواف مصر: هما حوفان: الشرقي والغربي، وهما متصلان، أول الشرقي من جهة الشام، وآخر الغربي قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص322.
(82) المسعودي، مروج، ج4، ص350؛ الخضري، الدولة العباسية، ص217.
(83) المناصير، الجيش، ص102.

وجد في قوات المستعين عناصر عديدة، منها: الأشروسنية[84]، وهم من أجناس الترك، نسبة إلى أشروسنة[85]، والخراسانية[86]، والأبناء[87]، والطبرية[88]، والشاكرية[89]، ومن قواته أيضاً: «الجيشية»، فقد ذكرها الطبري مرتين، ذكر في الأولى أنه وُجّه إلى المدائن «خمسمئة من رجالة الجيشية[90]»، وجاء في الثانية «أهل بغداد الجيشية والفروض من الرجالة[91]»، ولا تساعد المعلومات المتوافرة على تقديم مزيد من التفاصيل عنها، وهل هي تنظيم من الجيش أم عنصر منه؟ أم إنَّ المقصود بها هو أهل بغداد الملتحقين بالجيش؟. كذلك وجد في قوات المستعين جماعات من الأتراك والفراعنة والمغاربة، وكان هؤلاء من المؤيدين للمعتز، وقد التحق بعضهم به خلال الحرب[92].

---

[84] الطبري، تاريخ، ج11، ص102؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص213.

[85] أشروسنة: بلدة كبيرة بما وراء النهر، بين سمرقند في الغرب، والشاش وبعض فرغانة في الشمال، وفرغانة في الشرق، وكش والصغانيان في الجنوب؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص197.

[86] الطبري، تاريخ، ج11، ص114، 124؛ يدخل في تسمية الخراسانية أهل خراسان، ومناطق أخرى في شرق دار الخلافة، وهم من أصول عربية وفارسية، ويظهر أن العرب القاطنين في خراسان، كانوا يشكلون القوة الرئيسة في هذه الفرقة؛ فوزي، فاروق عمر، "الجند الأموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي والعباسي"، (مجلة المورد، بغداد، العدد الرابع، مج8، 1979م، 11 صفحة)، ص238؛ المناصير، الجيش، ص108.

[87] الطبري، تاريخ، ج11، ص111- 112؛ الأبناء: هم أبناء وأحفاد أهل خراسان جند الدعوة العباسية، الذين كانوا مزيجاً من العرب والعجم، سكنوا في أرباض بغداد وفي غيرها من مدن العراق، والفرق بينهم وبين أهل خراسان، هو أنهم تأثروا بتقاليد الخلافة العباسية والبيئة العربية في العراق، في حين نشأ أهل خراسان متأثرين بالبيئة الفارسية وتقاليد حضارتها؛ فوزي، الجند الأموي والجيش العباسي، ص242؛ المناصير، الجيش، ص111- 113.

[88] الطبري، تاريخ، ج11، ص105؛ الطبرية: هم من أبناء طبرستان، وهي منطقة الجبال الممتدة في حذاء الساحل الجنوبي لبحر قزوين؛ لسترانج، بلدان، ص409.

[89] الطبري، تاريخ، ج11، ص101- 102، 112؛ 117؛ 119- 120؛ 126؛ جاءت تسمية الشاكرية من كلمة «جاكر» بالفارسية أي الخادم والعبد والتلميذ، ويبدو أنهم إحدى الفرق العسكرية التي أحدثت في العصر العباسي، ويقوم عملهم على طاعة الخلفاء وتأييد السلطان، واقتصرت مهامهم في البداية على تقديم الخدمات والحراسة، ثم ألحقوا بالمؤسسة العسكرية في أواخر العصر العباسي الأول، فسجّلوا في ديوان واحد مع الجند سمّي «ديوان الجند والشاكرية»، فلما كثُر عددهم في العصر العباسي الثاني صار لهم ديوان خاص، عُرف باسم «ديوان جيش الشاكرية»؛ المسعودي، مروج، ج5، ص46؛ ج6 (فهارس)، ص407؛ فوزي، الجند الأموي والجيش العباسي، ص243؛ المناصير، الجيش، ص126- 127.

[90] تاريخ، ج11، ص119.

[91] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص123.

[92] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص101- 102، 114، 126، 129.

وكانت العامة في بغداد من القوى الفاعلة في هذه الحرب، إذ تجردوا للقتال[93]، ومن المعروف أنَّ العامة كانت تقوم بالتضامن فيما بينها كلما ألمَّت بالمجتمع أزمات مختلفة لأسباب سياسية أو اقتصادية أو بسبب عدوان خارجي، واختفاء مظاهر السلطة، فكانت تتكتل على أساس التعصب للحي أو للمهنة أو للمذهب، وبذلك اختفت العصبيات القبلية شيئاً فشيئاً، وحلت محلّها العصبيات الجديدة التي «شكلّت نوعاً من أنواع «الأحزاب» بالمعنى الواسع للكلمة»، وقد اتخذ نشاط العامة شكل حركات تمرد تستهدف الحكام أو التجار، أو للنيل من جماعات أخرى من العامة، وسخّرت في سبيل أهدافها طاقات الفئات الدنيا من العيارين والشطار الذين كانوا في غالبيتهم من العراة المسلحين بالحجارة والعصي، ومن السوقة وباعة الطريق والرعاع والأوباش والمطوعة ونزلاء السجون والمبيضة الخارجين على سلطة الدولة[94].

شغل العيارون دوراً كبيراً في جيش المستعين، فقد جنّدهم محمد بن عبد الله بن طاهر منذ بداية الحرب، ووزّع عليهم السلاح[95]، فصمدوا أمام الجيش النظامي من الأتراك، وتمكنوا بمن انضم إليهم من إعطاب منجنيق للأتراك، وإلحاق الهزائم بهم[96]، ونظراً إلى الدور الكبير لهم في محاربة الأتراك، والصمود أمامهم، أمر ابن طاهر في شهر ربيع الأول بتوزيع الكافركوبات (المقارع) على العيارين، وأن يجعل فيها مسامير الحديد، فقسمت بينهم، وثبتت أسماؤهم في الجند، وما إن وزع السلاح عليهم حتى تفرقوا على أبواب بغداد، فقتلوا من الأتراك وأتباعهم في ذلك اليوم نحو خمسين رجلاً[97]، وصادروا منهم علمين وسلمين، وترأس العيارين رجال من بينهم، وأبرزهم: ينتويه ويكنى

---

[93] الصفدي، الوافي، ج8، ص62؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (ح. و) 251– 260هـ، ص55.

[94] سعد، فهمي، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار المنتخب، ط1، بيروت، 1413هـ– 1993م، ص435– 436. المبيضة: هم الذين يرفعون شعاراً أبيض عكس الشعار العباسي الأسود، والمقصود بالمبيضة جميع الذين يخلعون السلطة العباسية، ويقاتلون ضدها؛ سعد، العامة في بغداد، ص440، حاشية 23.

[95] الطبري، تاريخ، ج11، ص101؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص212.

[96] الطبري، تاريخ، ج11، ص104– 105؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص215.

[97] الطبري، تاريخ، ج11، ص114؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص218.

بأبي جعفر، ودونل، ودمحال، وأبو نملة، أبو عصارة[98]، وكان أثبت هؤلاء القادة ينتويه الذي بقي رئيساً على عياري الجانب الغربي ببغداد حتى نهاية الحرب، وكان يخرج من باب قطربل إلى مواضع الأتراك خارج بغداد، ويقاتلهم في غارات، وسلاح أتباعه الحجارة، بينما يرميهم الجند بالنبال[99].

وبرز من زعماء العيارين في الجانب الشرقي ديكويه، وأبو جعفر المخرمي الذي بلغ عدد أتباعه خمسمئة رجل مسلحين بالتروس والبواري المقيرة والسيوف والسكاكين والكافركوبات (المقارع)، وقد أبلوا بلاءً حسناً في محاربة الأتراك، وشاركهم في ذلك خلق كثير من المبيضة والنّظّارة[100].

كان جيش الطرفين يتألف من صنفين رئيسين هما: الرجالة والفرسان، وقد استخدموا أنواعاً مختلفة من الأسلحة الفردية أو الجماعية التي تستخدم لدك الأسوار والتحصينات واقتحامها، فكان منها: السيوف والسهام والنشاب والرماح والمنجنيقات والعرّادات والتروس والدروع والجواشن والنفط والنار[101]، وكان من أسلحة جيش المعتز خاصة الكلاليب والسلالم لتسلق الأسوار[102]، واستخدم جيش كل من الطرفين أنواعاً مختلفة من السفن والمراكب البحرية والنهرية من أنواع الشبارات[103] والزوارق والبوارج وغيرها، فجرت بعض الجولات العسكرية بينهما في الماء (أي نهر دجلة)[104].

---

[98] يُلْحَظُ أنَّ أسماء زعماء العيارين غريبة، مع أنهم من أبناء بغداد، ولا يعرف إن كانت هذه الأسماء هي ألقابهم أم أسماؤهم الحقيقية.

[99] الطبري، تاريخ، ج11، ص114.

[100] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص115؛ النظَّارة: القوم ينظرون إلى الشيء/ القوم الذين يقعدون في مرتفع من الأرض ينظرون منه القتال ولا يشهدونهُ؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص818، مادة (نَظَرَ).

[101] الطبري، تاريخ، ج11، ص100، 103، 104- 105، 110- 112، 114، 116- 117، 127؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، 45- 48؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص214- 218، 221.

[102] الطبري، تاريخ، ج11، ص111؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص216.

[103] الشبّارة: نوع من أنواع السفن بالعراق، وهي الحراقة بمصر؛ ابن خلكان، وفيات، مج1، ص194. وكانت نوعاً من السفن النهرية التي تستخدم في دجلة؛ المناصير، الجيش، ص215.

[104] الطبري، تاريخ، ج11، ص105، 111- 112، 115- 116، 124، 134؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص214، 217- 218؛ كانت قيادة قوات المستعين البحرية في نهر دجلة لمحمد بن أبي عون الذي كان يتولى أمر الشَّبارات والبحريات والحرب، واستمر يقوم بذلك حتى مطلع ربيع الأول عندما عزله محمد بن عبد الله بن طاهر على

وكان لكل من الفريقين طبولهم وأعلام ورايات خاصة به[105]، ومع أنَّه لم يرد في المصادر مزيدٌ من التفاصيل عنها، غير أنَّ هناك بعض الإشارات التي تفيد في توضيح ذلك، فقد كانت المبيضة من العامة أتباع المستعين من حملة الرايات البيضاء[106]، وكانت راية الأتراك أتباع المعتز العلم الأحمر[107]، ولعل الرايات السوداء التي ترمز إلى شعار العباسيين كانت من أعلام أحد الطرفين، ولعلها كانت أعلام جيش المستعين، وممَّا هو جدير بالذكر أنَّ ابن طاهر لما توجه في منتصف ذي الحجة/ أوائل كانون الثاني عام 866م للقاء أبي أحمد وتقرير شروط الصلح، ضُرب له مضرب كبير أحمر[108]، فهل كان اختيار اللون الأحمر لذلك المضرب مصادفة أم أنه تمّ عمداً؟ وهل كان تعبيراً عن دخول ابن طاهر في طاعة المعتز؟.

كان المعتز يرفد جيشه المحاصر لبغداد باستمرار بقوات جديدة من الأتراك والفراعنة والمغاربة، حتى إذا كان شهر ربيع الآخر/ أيار، وصل عدد ذلك الجيش إلى نحو تسعة عشرة ألف رجل موزعين بين الجانبين، ففي الشرقي كان هناك سبعة آلاف بقيادة أبي أحمد أخي المعتز، وكان في الجانب الغربي اثنا عشرة ألفاً بقيادة بايكباك[109]. أمَّا بالنسبة إلى قوات المستعين، فقد انضم إليها في بداية الحرب بعض القواد الموكلين بمناطق مختلفة بأتباعهم، فكان محمد بن عبد الله بن طاهر يستقبلهم، فيمنح القواد

أثر الصدام الذي جرى بينه وبين العامة، وصيّر الأمر نفسه إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص115.

[105] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص103، 111، 124؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص214، 224.

[106] الطبري، تاريخ، ج11، ص105.

[107] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص129؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص183.

[108] الطبري، تاريخ، ج11، ص103.

[109] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص105، 114– 115؛ بايكباك: قائد تركي من قواد المعتز، جاء إلى بغداد ضمن الوفد الذي أرسل إليها لإقناع المستعين بالعودة إلى سامراء، ثم شارك في الحرب بين المستعين والمعتز، فكان قائد قوات الأتراك في الجانب الغربي، وفي سنة 254هـ/ 868م أقطعه المعتز مصر، فاستمر مقيماً بالحضرة، واستخلف بها أحمد بن طولون، ولما كانت خلافة المهتدي أصبح من أبرز القادة الأتراك، قتله المهتدي سنة 256هـ/ 870م؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص97، 117، 157، 203– 204؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص250، 283– 284.

الخلع، ويوزع الأرزاق على من معهم[110]، ولا يعرف إلى كم وصل عدد تلك القوات، ولكن الأمر المؤكد منه هو أنَّه كان كبيراً جداً، لدرجة أنَّ الجيش الذي وجّه إلى الأنبار وصل إلى نحو عشرة آلاف رجل[111]، ويظهر أنَّ تلك القوات كانت مقسّمة إلى أفواج، فعندما وجه الحسين بن إسماعيل[112] إلى الأنبار في أواسط جمادى الأولى/ حزيران، قدمت "مرتبته إلى الفوج الثاني، وكان في الفوج الرابع"، فتوجه إليها بجيش منظم على أساس مقدمة وقلب وساقة[113].

رابعاً . أحداث الحرب:

توجهت قوات المعتز نحو بغداد، فوصلت إلى باب الشماسية من أبوابها في السابع من صفر/ آذار[114]، فبدأت بذلك الحرب بين قوات المستعين والمعتز التي استمرت مستعرّة عشرة أشهر، أي حتى ذي الحجة من السنة نفسها / كانون الأول 865م- كانون الثاني 866م/، وفي خلالها لجأ كل طرف إلى استطلاع قوة خصمه، ورصد جيشه، والتجسس عليه، ونصب الكمائن له[115]، وكان محمد بن عبد الله بن طاهر قائد قوات المستعين يكافئ قواد قواته المنتصرة في وقعة من الوقائع بمنحهم الأطواق والأساور، وتوزيع الصلات على المقاتلين الذين أبلوا في تلك الوقعة[116].

---

[110] الطبري، تاريخ، ج11، ص104، 110- 111؛ (كان من الذين انضم إلى جيش المستعين: عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركي الموجه إلى طريق مكة بأتباعه من الشاكرية، ورجل من الثعلبية في خمسين رجلاً، ومحمد بن خالد بن يزيد الذي اتجه من بلد إلى بغداد عن طريق الرقة بأتباعه وعددهم نحو ألف وأربعمئة فارس وراجل، ونجوبة بن قيس بن أبي السعدي بمن فرض من الأعراب، وهم ستمئة راجل ومئتا فارس).

[111] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص121؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص221.

[112] الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب: أمير من أسرة آل طاهر، ولّي على بلاد فارس سنة 236هـ/ 850م، وقاد في سنة 250هـ/ 864م الجيش الموجّه إلى الكوفة للقضاء على ثورة يحيى بن عمر العلوي، فقضى عليها، كان من القواد البارزين في الحرب بين المستعين والمعتز، إذ كان مكلفاً بحماية باب الشماسية، ثم وجّه إلى الأنبار للدفاع عنها؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، 129، 198- 200، 214-215، 221- 223.

[113] الطبري، تاريخ، ج11، ص120.

[114] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص134؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص45.

[115] الطبري، تاريخ، ج11، ص103، 105؛ 122؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص214- 216، 222.

[116] الطبري، تاريخ، ج11، ص104- 105؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص46.

كانت بغداد المسرح الرئيس لوقائعها، وإلى جانبها جرت بعض المعارك في المناطق القريبة منها، وقد قامت خطة قوات المعتز على مهاجمة بغداد ومحاصرتها من الجانبين الشرقي والغربي معاً بهدف إحكام الحصار عليها، وإجبار القوات المدافعة عنها على الاستسلام، ولما وجدوا عدم قدرتهم على اختراق سور بغداد الذي بناه المستعين بسبب شدة تحصينه، وكثرة القوات المرابطة حوله، لجؤوا إلى مهاجمة بغداد من نواحٍ أخر، فهاجموا المناطق المجاورة لها في شرقها وجنوبها وغربها ولا سيَّما النهروان[117] والأنبار والمدائن، وبسيطرتهم عليها، تقدموا في المناطق التابعة لبغداد، وأحكموا الحصار عليها من الجهات جميعها، وقطعوا الإمدادات عنها، الأمر الذي أدى إلى إضعاف قدرة قوات المستعين على المقاومة من جهة، وأدَّى من جهة ثانية إلى ضائقة اقتصادية كبيرة عانى منها سكان بغداد، فكان لذلك أبرز الأثر في دفع قيادة قوات المستعين للاتجاه نحو الصلح.

مرت الحرب بين الفريقين بمرحلتين: الأولى منها لصالح قوات المستعين، والثانية لصالح قوات المعتز، ومن ناحية ثانية يمكن تقسيم أحداث الحرب زمنياً إلى ثلاث مراحل، هي:

- الأولى: تشمل أحداث شهور صفر وربيع الأول وربيع الآخر/ آذار، نيسان، أيار، وفيها تركزت الوقائع – في معظمها– على أبواب بغداد في الجانبين الشرقي والغربي.
- الثانية: أي وقائع شهور جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب/ حزيران، تموز، آب، وفيها كانت مدينة الأنبار مركز الصدام الرئيس بين قوات الطرفين.
- الثالثة: وهي المرحلة الأخيرة من الحرب، وتتضمن وقائع شهور شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة/ أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول، وقد جرت أحداثها في أطراف بغداد وعلى أبوابها، وكانت في أغلبها لصالح قوات المعتز. وفيما يأتي عرض موجز لوقائع تلك الحرب:

[117] النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي؛ الحموي، معجم البلدان، مج5، ص324– 325.

أ. المرحلة الأولى: (صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر/ آذار، نيسان، أيار):

لما استكملت قوات المعتز وصولها إلى بغداد، بدأت بالهجوم في الثاني عشر من صفر/ آذار على باب الشماسية، فرموا بالسهام والمنجنيق والعرادات، ومع أن الغلبة في البداية كانت لصالحهم، غير أنَّ ثبات العيارين أدَّى إلى هزيمة الأتراك، ولم يلبث الأتراك أن سعوا إلى توسيع جبهات الحرب، ولذلك وجهوا كردوساً[118] منهم إلى باب خراسان من الجانب الشرقي ليدخلوا منه، فتصدى لهم العامة وهزموهم[119].

وهجم قوم من الأتراك في 16 صفر/ آذار على النهروان، فهزموا القوات المكلفة بالدفاع عنها[120]، وسيطروا على طريق خراسان، فانقطع هذا الطريق عن بغداد[121]. وحدث أن وجه المعتز عسكراً جديداً من الأتراك والمغاربة والفراعنة نحو الجانب الغربي من بغداد، فدارت الحرب بينهم وبين قوات المستعين، فهُزموا شر هزيمة، وكان عددهم أربعة آلاف، فقتل منهم ألفان، وغرق بعضهم، وأُسر جماعة منهم، فيما فرّت جماعة أخرى منهم، فجردت في إثرهم بعض القوات لملاحقتهم، وكان أكثر العمل في هذه الوقعة للمبيضة والعيارين[122]، وكان من أثر هذه الهزيمة أن انتشرت الفوضى بسامراء، إذ اجتمع الغوغاء من العامة فيها، «فانتهبوا سوق أصحاب الحلي والسيوف والصيارفة، وأخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره[123]».

كانت خطة الأتراك تقوم على الهجوم من الجانبين الغربي والشرقي في وقت واحد، ويظهر أنَّ محمد بن عبد الله بن طاهر كان مدركاً لتلك الخطة، إذ شحن الجانب الغربي

---

(118) كَردَسَ: مشى وقارب خطوهُ كالمقيَّد// و- الخيل: جمعها وجعلها كتيبةً كتيبةً// الكردوسة ج كرادس وكراديس: طائفة عظيمة من الخيل؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص680، مادة (كرد).

(119) الطبري، تاريخ، ج11، ص103- 104؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص169- 170؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، 45.

(120) كانت تلك القوات بقيادة عبد الله بن محمود السرخسي ويحيى بن حفص المعروف بحبُوس، وعددها نحو /1200/ مقاتلٍ؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص104.

(121) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص104- 105؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص215؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص353.

(122) الطبري، تاريخ، ج11، ص105؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص170؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص215- 216.

(123) الطبري، تاريخ، ج11، ص111.

بالقوات، فيما اتجه هو نحو باب الشماسية في الجانب الشرقي في يوم الثلاثاء 17 صفر/ آذار، فأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الحوانيت والدور، وقطع البساتين ليتسع المجال على من يحارب هناك، وحدث في اليوم نفسه أن هجم الأتراك على ذاك الباب هجوماً عنيفاً، فكشفوا من يدافع عنه؛ ممَّا دفع ابن طاهر إلى توجيه العرادات في السفن والزواريق، فرموهم رمياً شديداً أدَّى إلى مقتل نحو مئة إنسان منهم، فتنحوا عن الباب. ولم يلبث الأتراك أن هجموا من ناحية باب البردان في 22 صفر/ آذار، غير أنَّهم هزموا[124].

وكان قبل تلك الوقعة قد وجّه بمال فارس والأهواز إلى بغداد على نيف وسبعين حماراً، فوجه أبو أحمد جماعة من أتباعه لمصادرته، لكنهم أخفقوا في مهمتهم، ورداً على ذلك هاجموا النهروان وشردوا أهلها، وحرقوا سفن الجسر، وهي أكثر من عشرين سفينة، ثم عادوا إلى سامراء[125].

وفي 24 صفر/ آذار انضمت البصرة إلى جانب المستعين، إذْ توجهت منها عشر سفن بحرية تسمى البوارج إلى بغداد، وفي كل منها خمسة وأربعون رجلاً من الجذافين والمقاتلة، وأخذت ترمي قوات الأتراك، فلجأت تلك القوات إلى مكان لا يناله النيران، ولما كان آخر يوم من صفر/ أول نيسان جدد الأتراك والمغاربة هجومهم على أبواب بغداد من الجانب الشرقي، فرموا بالسهام والعرادات والمنجنيقات طوال اليوم، فقتل وجرح من الفريقين جماعة كثيرة[126].

ولما حلَّ شهر ربيع الأول/ نيسان، جرى توزيع السلاح على العيارين في بغداد، فتوزعوا على أبوابها، فقتلوا من الأتراك نحو خمسين رجلاً، في حين قتل منهم عشرة

---

[124] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص111؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص216؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص46- 47.

[125] الطبري، تاريخ، ج11، ص110؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص216؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص353- 354.

[126] الطبري، تاريخ، ج11، ص112؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص173؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، 217.

رجـال فقـط[127]، وتـمّ التصـدي لقـوة مـن الأتـراك مؤلفـة مـن أربعـين رجـلاً بناحيـة بزوغى[128]، وهزيمتها، وفي إثر ذلك وجه المعتز مدداً جديداً من ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجالة بقيادة موسى بن أشناس، فعسكر بإزاء عسكر أبي أحمد في الجانب الغربي من بغداد بباب قطربل، وما إن وصلت هذه القوات إلى أماكنها حتى دارت الحرب في الجانب الشرقي بين قوات أبي أحمد وقوات ابن طاهر التي تصدت لها بمساعدة قوات العامة[129].

ولم يلبث أن وافى عسكر جديد من الأتراك في سامراء إلى بغداد في 19 ربيع الأول/ نيسان، وعندما وصل عكبرا[130]، خرجت قوات من بغداد للتصدي له، غير أنَّها وقعت بكمين نصبه الأتراك لها، ممَّا أدَّى إلى هزيمتها وتراجعها، في حين هاجم الأتراك والمغاربة أهل بغداد من ناحية قطربل، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، كذلك قتل من الأتراك جمع كثير[131].

ردَّ ابن طاهر بأن وجَّه قوة من خمسمئة فارس من باب قطربل، فهاجموا عسكر موسى بن أشناس على حين غرة، فقتلوا منهم نحو ثلاثمئة، وأسروا عدداً منهم، وهجم الأتراك في اليوم نفسه من ناحية باب القطيعة، فنقبوا نقوباً، فقتل أول من دخل منهم، وكثر القتل «في الأتراك والمغاربة، والجراح بالسهام في أهل بغداد[132]».

وفي آخر ربيع الأول/ أول أيار وصل كتاب من المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وهو أول كتاب ورد عليه منه، «وفيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه

---

[127] الطبري، تاريخ، ج11، ص114؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص218.

[128] بزوغى: من قرى بغداد على نحو فرسخين منها؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص411.

[129] الطبري، تاريخ، ج11، ص114- 115.

[130] عُكبرا: بلدة على عشرة فراسخ شمالي بغداد، تقع على شاطئ دجلة الأيسر؛ الحموي، معجم البلدان، ص142؛ لسترانج، بلدان، ص72.

[131] الطبري، تاريخ، ج11، ص115- 116؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص218.

[132] الطبري، تاريخ، ج11، ص116؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص218.

لقديم العهد بينه وبين المعتز والحرمة، وأنَّ الواجب كان عليه أن يكون أول من سعى في أمره، وتوجيه خلافته[133]»، "فما ردّ عليه محمد جواب الكتاب"[134].

وحدث في ربيع الأول/ نيسان أن توسع الصدام بين الطرفين إلى المدائن[135]، إذْ وجّه إليها محمد بن عبد الله بن طاهر أبا الساج[136]، وما إن وصلها حتى ابتدأ في حفر خندقها، ثم رُفد بقوات جديدة حتى صار عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفي رجل[137].

ولمّا كان ربيع الآخر/ أيار تمَّ استطلاع جيش المعتز المحاصر لبغداد، فتبيَّن أنَّ عدة الأتراك والمغاربة وأتباعهما في الجانب الغربي اثنا عشر ألف رجل بقيادة بايكباك القائد، وعدد من مع أبي أحمد في الجانب الشرقي سبعة آلاف رجل، ولما كان يوم الأربعاء السابع من الشهر نفسه حدثت وقعة شديدة بين الطرفين، قتل فيها من أصحاب المعتز أربعمئة رجل من بينهم عشرون قائداً، فيما قتل من أصحاب ابن طاهر ثلاثمئة رجل[138].

---

[133] الطبري، تاريخ، ج11، ص117.

[134] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص219.

[135] المدائن: مدينة تقع على سبعة فراسخ أسفل من بغداد، وعلى جانبي دجلة، وهي بقايا أطلال العاصمتين التوأمين: قطيسفون وسلوقية التي أسسها السلوقيون قبل الميلاد بثلاثة قرون، وكانت المدائن تتألف من سبع مدن؛ لسترانج، بلدان، ص51- 52.

[136] الطبري، تاريخ، ج11، ص117؛ أبو الساج ديوداد بن ديودست: قائد مشهور من قواد بني العباس، شارك في محاربة بابك الخرمي والمازيار، وفي سنة 244هـ/ 858م عقد المتوكل له على طريق مكة، ولما استعرت الحرب بين المستعين والمعتز التحق ببغداد، فكلف بالمسير إلى المدائن والدفاع عنها، وبعدما وضعت الحرب أوزارها قلّد على السواد ثم على طريق خراسان، وفي سنة 254هـ/ 868م عُقد له على ديار مضر وقنسرين والعواصم، وفي سنة 261هـ/ 874م ولي الأهواز، وكلف بمحاربة الزنج، وفي سنة 262هـ/ 875م التحق بيعقوب بن الليث الصفار وصار معه، توفي سنة 266هـ/ 879م؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص32، 52، 160، 219، 224، 234، 240، 251، 321- 322، 333، 368؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، 12 مجلداً، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م، مج7، ص3477، (ذكر اسمه داوداد أبو الساج).

[137] الطبري، تاريخ، ج11، ص119؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص219.

[138] الطبري، تاريخ، ج11، ص117.

وحدث في ربيع الآخر/ أيار نفسه أن قدم مدد جديد من قبل المعتز، بلغ عدده مئتين بين فارس وراجل بقيادة أبلج التركي، فقصدوا ناحية البندنيجين[139]، فتمّ التصدي لهم وهزيمتهم[140].

ب . المرحلة الثانية: (جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب/ حزيران، تموز، آب):

توسع الصدام بين الفريقين في ربيع الآخر إلى مدينة الأنبار، فكانت مركز الصدام الرئيس بينهما في شهور جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب/ حزيران، تموز، آب، فكيف كانت الحرب بينهما عليها؟.

تقع الأنبار على نهر الفرات، غربي بغداد[141] بعشرة فراسخ[142]، كان محمد بن عبد الله بن طاهر قد وجَّه إليها منذ بداية الحرب نجوبة بن قيس بن أبي السعدي . الذي قدم بغداد في صفر/ آذار. بمن فرض من الأعراب، وهم ستمئة راجل ومئتا فارس[143]، وأمره بالمقام بها، وضبط أمورها، وتجنيد أعرابها، فجنّد منهم نحو ألفي راجل، واستمر يتولاها، ولما بلغه أنَّ قوماً من الأتراك قد اتجهوا نحوه، شقَّ الماء من الفرات إلى خندقها، فامتلأ بالماء، وفاض على ما يليه، «فصار ما يلي الأنبار بطيحة واحدة، وقطع القناطر التي توصل» إليها، وكتب يطلب المدد، فوجّه لمساعدته قوة من ألف وخمسمئة رجل في أواخر ربيع الآخر[144].

أمَّا المعتز، فوجه أبا نصر بن بغا من سامراء في قوة من الأتراك والمغاربة نحو الأنبار، وما إن وصلوها حتى هاجموا القوات الواردة من بغداد، فهزموها في مطلع

---

[139] البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، وهي مركز طسوجي باداريا وباكسايا؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص499؛ لسترانج، بلدان، ص88.

[140] الطبري، تاريخ، ج11، ص118– 119.

[141] عرفت بالأنبار نسبة إلى أنابير الحنطة والشعير والتبن التي كانت تجمع فيها منذ ما قبل الإسلام؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص257.

[142] الفرسخ: يتألف من 3 أميال، وكل ميل 1000 باع، وكل باع 4 أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6 كم؛ هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ط2، عمّان، (د. ت)، ص94.

[143] الطبري، تاريخ، ج11، ص111؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص175.

[144] الطبري، تاريخ، ج11، ص119؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص175؛ (كانت تلك القوة بقيادة رشيد بن كاوس).

جمادى الأولى/ مطلع حزيران؛ وقتلوا جماعة منها، وانهزم من بقي منها منصرفاً إلى بغداد، أمّا نجوبة بن قيس، فعبر إلى الجانب الغربي من الأنبار، وقطع جسر الأنبار ثم اتجه إلى بغداد، فاختار محمد بن عبد الله بن طاهر الحسين بن إسماعيل ووجهه إلى الأنبار، ومعه جماعة من القواد، ووزع على العسكر رزق أربعة أشهر، وشيّع هذا الجيش كبار القواد والكتَّاب، وبنو هاشم والوجوه إلى معسكره في الياسرية[145]، وهي قرية تبعد عن بغداد ميلين[146]، ويشير هذا التشييع إلى الأهمية الكبيرة التي كانت ملقاة على هذا الجيش.

كان الأتراك والمغاربة قد صاروا إلى الأنبار بعد انهزام القوات المدافعة عنها، فأعطوا الأمان لأهلها، وأمروهم بفتح حوانيتهم، ولكنهم ما لبثوا أن غدروا بهم، فصادروا ثرواتهم وأرزاقهم[147].

ضُمت إلى الحسين بن إسماعيل قوات كثيرة حتى بلغ عسكره عشرة آلاف رجل، فسار بهم حتّى بلغ القطيعة، وهي موضع واسع، فأُشير عليه بإبقاء الجيش فيه لسعته وحصانته، وأن يتجه هو وقواده في جريدة من الخيل نحو الأنبار، فإن كان الأمر له، لحق به عسكره، وإن كان الأمر عليه، انحاز إلى عسكره، غير أنه رفض، وتابع إلى قرب الأنبار، فنزل بمكان يضيق على عسكره، وهو الأمر الذي عرفه الأتراك عن طريق جواسيسهم، وكان عدد الأتراك نحو ألف رجل، فهجموا على معسكره، ومع أن بداية المعركة كانت لصالح جيش الحسين، ولكن خروج كمين للأتراك أدى إلى تضعضع عسكره واختلال حاله واختلاط الحابل بالنابل، ففرَّ منهزماً إلى الياسرية التي وصلها في

---

[145] الطبري، تاريخ، ج11، ص119- 120؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص175- 176؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص221.

[146] الحموي، معجم البلدان، مج5، ص425.

[147] الطبري، تاريخ، ج11، ص121؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص176؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص 47.

السادس من جمادى الآخرة/ تموز، فيما غنم الأتراك جميع ما في عسكره من مضارب وأثاث وتجارات ومال وغيرها[148].

جُمعت فلول الجيش المنهزم من الأنبار في الياسرية بقيادة الحسين بن إسماعيل الذي وبّخه ابن طاهر لتقصيره، وأمره أن ينفذ إلى الأنبار من جديد مع من يأتي إليها من الجند، كما وصل الحسين كتاباً من المستعين قُرئ عليه وعلى القواد وبحضور العسكر «يخبرهم فيه بسوء طاعتهم، وما ركبوا من العصيان والتخاذل[149]».

استمرت إقامة الحسين بن إسماعيل في الياسرية نحو 12 يوماً أو أكثر ثم تحرك باتجاه الأنبار، فهزم الأتراك الذين حاولوا الوقوف في وجهه، وتابع طريقه حتى وصل ضفة الفرات، فعسكر هناك، ووكَّل جماعة من الجند بالمخاوض الموصلة إلى معسكره، فهجم الأتراك على تلك الجماعة، وهزموها، وعبروا الفرات، واتجه الحسين بن إسماعيل بعسكره إلى مكان المعركة، غير أن وصوله جاء متأخراً بعد هزيمة أتباعه، ولم تلبث أن حلت الهزيمة به نفسه، ففرَّ إلى بغداد، فيما وضع الأتراك السيف في عسكره، فأسروا منهم أكثر من مئة وسبعين شخصاً، وقتلوا منهم مئة، واستولوا على نحو ألفي دابة ومئتي بغل، وكمية كبيرة من السلاح والثياب تبلغ قيمتها أكثر من مئة ألف دينار[150]، وفي إثرها سيطر الأتراك بقيادة أبي نصر بن بغا على الأنبار وما قرب منها بعد إجلاء جيوش ابن طاهر عن تلك الناحية، ممَّا فتح الطريق أمام قوات المعتز للتقدم في الجانب

[148]الطبري، تاريخ، ج11، ص121- 122؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص177- 178؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص221- 222؛ روي أن الحسين لقي رجلاً من التجار في جماعة ممن ذهبت أموالهم في عسكره، فسخر منه قائلاً على سبيل التهكم: «الحمد لله الذي بيض وجهك، أصعدت في اثني عشر يوماً، وانصرفت في يوم واحد»، فتغافل الحسين عنه؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص122؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص178.

[149] الطبري، تاريخ، ج11، ص123.

[150] مسكويه، تجارب، ج4، ص179- 180؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص124؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص223.

الغربي من بغداد[151]، وكان من أثر هزيمة الأنبار، وسيطرة قوات الأتراك عليها، أن لحق من بغداد بالمعتز في سامراء جماعة من الكتّاب وبني هاشم والقواد[152].

وتعود هزيمة الحسين في وقعته الثانية مع الأتراك لأنَّه كان مهملاً لعمله، ولم يكن مهتماً لتحقيق النصر بدليل أنَّ رسول قائده الموَّكل بالقنطرة التي تؤدي إلى عسكره، جاءه ثلاث مرات ليبلغه بعبور الأتراك المخاضة ووصولهم إلى قرب معسكره، دون أن يستطيع مقابلته بحجة أنَّ الأمير نائم أو في المخرج أو عاد إلى النوم، الأمر الذي أدى إلى انهيار معنوية المدافعين هناك، فانهزموا، وغرق عدد كبير منهم فيما فرَّ بعضهم إلى بغداد[153].

ساد بغداد حالة من التململ والتذمر في إثر هزيمة الأنبار، إذ اجتمع بنو هاشم من العباسيين في بغداد بإزاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر، فصاحوا بالمستعين، وتناولوا ابن طاهر بالشتم القبيح، وطالبوا بأرزاقهم إذ قالوا «قد مُنعنا أرزاقنا وتدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها ونحن نموت هزلاً وجوعاً، فإن دفعت إلينا أرزاقنا وإلا قصدنا إلى الأبواب، ففتحناها وأدخلنا الأتراك، فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد[154]». وجرت في شهر رجب/ آب وقعات عديدة بين قوات المستعين والأتراك، كانت في معظمها لصالح الأتراك[155].

ج . المرحلة الثالثة: (شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة/ أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول):

---

(151) الطبري، تاريخ، ج11، ص128.

(152) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص125؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص223؛ ابن خلدون، تاريخ، مج، ص354؛ (كان من بني هاشم الذين التحقوا بالمعتز :علي ومحمد ابنا الواثق، ومحمد بن هارون بن عيسى بن جعفر، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن علي). كان من القادة: مزاحم بن خاقان الذي مضى إلى المعتز فيمن أطاعه من أتباعه وهم زهاء أربعمئة إنسان؛ الطبري، تاريخ، ج11، ص126

(153) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص124؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص179.

(154) الطبري، تاريخ، ج11، ص125.

(155) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص125– 127.

استغل الأتراك والمغاربة قلة الحامية الموكلة بحماية بعض أبواب الجانب الغربي، فهجموا عليها في جمع كثير، فنقبوا السور، وهزموا القوات المرابطة لحمايته، ودخلوا بغداد، ونصبوا أعلامهم على الحوانيت، فيما انهزم الناس من أمامهم[156]. رد ابن طاهر على تقدم الأتراك بأن جمع القواد، ووجههم إلى أبواب الجانب الغربي، فاصطدموا مع الأتراك وكاثروهم عليها حتى دفعوهم عنها، وقتلوا جماعة كثيرة، وسُد باب الأنبار بالأجر والجص. وحدث في اليوم نفسه أن هجم الأتراك على باب الشماسية في الجانب الشرقي، فجرت حرب شديدة بينهم وبين القوات المرابطة هناك، قتل فيها جماعة كثيرة وجرح آخرون[157].

ولما كان شهر رمضان/ تشرين الأول بايع أهل الكوفة المعتز، فيما انسحبت قوات المستعين منها إلى بغداد، وفيه كانت وقعات عديدة بين أبي الساج الموكل بالمدائن والأتراك، فانهزم أمامهم بسبب خذلان بعض أصحابه له وتخليهم عن القتال وقت اشتداد المعارك، فكان من أثر ذلك أن دخل الأتراك المدائن، وحدث في الوقت نفسه أن تقدمت قوات الأتراك من الأنبار بقيادة أبي نصر بن بغا في أطراف بغداد من الجانب الغربي[158].

جمع محمد بن عبد الله بن طاهر في أوائل شوال/ أواخر تشرين الأول جميع قواده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم وشاورهم، وعرض عليهم الهزائم التي تعرضت لها قواتهم، ولا سيَّما الأنبار والمدائن. فأجاب كل منهم بالاستعداد لبذل النفس والدم والأموال، ثم أدخلهم إلى المستعين الذي حرّضهم وشجعهم على القتال بقوله لهم: «يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم، وأن يردّ الله إليكم

[156] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص127؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص180.
[157] الطبري، تاريخ، ج11، ص127– 128؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص48.
[158] الطبري، تاريخ، ج11، ص128– 129؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص181؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص224.

أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباههم، فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة»، ثم عاد القواد إلى مراكزهم بعد أن أحسنوا الرد[159].

وفي ذي القعدة/ كانون الأول جرت وقعة عظيمة لأهل بغداد مع الأتراك، حيث فتحت الأبواب كلها من الجانبين ونصبت المجانيق والعرادات في الأبواب والشبارات (السفن) في دجلة، وأشرف ابن طاهر بنفسه على المعركة ومعه وصيف وبُغا، حيث تزاحف الفريقان واشتدت الحرب بينهما، فانهزمت الأتراك وتبعهم أهل بغداد إلى معسكرهم، فانتهبوا سوقهم[160].

خامساً . نهاية الحرب ومفاوضات الصلح:

وضعت الحرب أوزارها بعد وقعة ذي القعدة/ كانون الأول، وكان ابن طاهر قد كاتب المعتز قبل ذلك في الصلح، فلما حصلت هذه الوقعة "أنكرت عليه"، فكتب ابن طاهر إلى المعتز: «فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه[161]»، ثم أغلقت أبواب بغداد على أهلها، فعانوا من الحصار والجوع وغلاء الأسعار، ممَّا دفعهم للتجمهر أمام دار ابن طاهر شاكين من الغلاء، فأرسل ابن طاهر إلى المعتز في الصلح، وجرت بينه وبين أبي أحمد رسائل، وفي إطار الجهود الرامية لإنجاح مفاوضات الصلح عَمَدَ ابن طاهر في 23 ذي القعدة/ 16 كانون الأول إلى إطلاق سراح جميع من في السجون ممن حبس بسبب ما كان من الحروب بينه وبين أبي أحمد، فيما وجه أبو أحمد في أوائل ذي الحجة/ 22 كانون الأول خمس سفن مملوءة بالدقيق والحنطة والشعير والتبن إلى ابن طاهر للتخفيف من وطأة الحصار وغلاء الأسعار وضغط العامة عليه[162].

---

[159] الطبري، تاريخ، ج11، ص129.

[160] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص129– 130؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص182– 183؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص224؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص48.

[161] الطبري، تاريخ، ج11، ص130.

[162] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص130– 131؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص224– 225؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص183– 184.

أحس محمد بن عبد الله بن طاهر بعدم جدوى الحرب وعبث المقاومة، وضعف أمر المستعين، لذلك بادر بمكاتبة المعتز، ومال إلى الصلح، وخلع المستعين[163]، فاجتمع مع أبي أحمد بن المتوكل قائد جيش المعتز في منتصف ذي الحجة/ أوائل كانون الثاني عام 866م لتقرير شروط الصلح، وقد توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بأن يخلع المستعين نفسه من الخلافة، ويُعطى مقابل ذلك خمسين ألف دينار، وإقطاعاً بثلاثين ألف دينار، ويكون مقامه بالمدينة، ويتردد منها إلى مكة، ويعطى بُغا ولاية الحجاز جميعها، ووصيف الجبل وما والاه، ويكون لمحمد بن عبد الله بن طاهر ثلث ما يجبي من الأموال وجند بغداد (أي إمارتها)[164]، ويكون للمستعين «الأمان ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم»[165].

امتنع المستعين أول الأمر عن الموافقة على الخلع وإقرار الاتفاق، اعتقاداً منه بأن وصيف وبغا سوف يقفان إلى جانبه، إلا أنهما وافقا على شروط الاتفاق، ولا سيَّما أنهما قد حصلا على أكثر مما يتوقعان، وبذلك وضع المستعين أمام الأمر الواقع، حيث خاطبه ابن طاهر قائلاً له: «لا بدَّ لك من خلعها طائعاً أو مكرهاً»، فاضطر للإجابة مرغماً[166].

بعد أن كتبت شروط الاتفاق السالف الذكر، أمر ابن طاهر قواده بالخروج إلى المعتز، ليوقع عليه، فوقع عليه بخطه، وأشهدهم على إقراره، ووجه معهم من يأخذ له البيعة من المستعين[167]، فأقرَّ نفسه بالخلع، وأخذت البيعة منه في الرابع من محرم سنة 252هـ/ 26 كانون الثاني عام 866م، وما إن أخذت البيعة منه حتى صدرت الأوامر

(163) المسعودي، مروج، ج5، ص75.

(164) الطبري، تاريخ، ج11، ص135؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص189؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص227؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص226؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص355.

(165) المسعودي، مروج، ج5، ص75.

(166) الطبري، تاريخ، ج11، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص227؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص189؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص226.

(167) الطبري، تاريخ، ج11، ص136؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص227– 228؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص226.

بإبعاده إلى واسط حسب شروط الاتفاق على أن يسير منها إلى مكة، وأرسلت شارات الخلافة البردة والقضيب والسيف إلى المعتز، واستتبع خلع المستعين عن الخلافة انتزاع بعض الجواري والجواهر منه[168]، ولم يطل الوقت حتى صدر الأمر باستقدام المستعين إلى سامراء، فقتل قربها في شوال سنة 252هـ/ تشرين الأول عام 866م[169].

ومن الأهمية التساؤل عن موقف أهل بغداد من الصلح السالف؟.

تحمل أهل بغداد ويلات شديدة بسبب الحصار وعانوا من الجوع، لذلك لم يكونوا ليسلموا بسهولة بعودة الأتراك للتحكم بمقدرات الخلافة، والموافقة على تنازل المستعين عن الخلافة، ويخشون على أنفسهم وأولادهم من دخول الأتراك والمغاربة مدينتهم وارتكابهم المجازر فيها، لذلك جرى إخبارهم في بداية الأمر أنَّ الصلح يقوم على أن يبقى المستعين خليفة، ويكون المعتز ولي عهده، ولكن سرعان ما اكتشف الناس حقيقة الاتفاق، فهجموا على دار ابن طاهر، وهددوه، وكادوا يقتلوه لولا تدخل المستعين نفسه[170].

ولم تهدأ حركات العامة بعد تنازل المستعين، فقد انضموا إلى جند بغداد في ثورتهم للمطالبة برواتبهم، ومنعوا الخطبة للمعتز، وتحرك عامة الجانب الغربي، فهزموا أصحاب ابن طاهر، ونهبوا مجلس الشرطة، وأخذوا ما فيه من المتاع، فأمر ابن طاهر بحرق الدكاكين التي على باب الجسر انتقاماً من أصحابها من التجار والعامة الذين ناصروا الجنود[171]. وهكذا شكل العامة القوة الأساسية في الدفاع عن مدينة بغداد في وجه الأتراك، فما سبب دفاعهم المستميت عنها؟.

---

[168] الطبري، تاريخ، ج11، ص137– 138؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص43؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1632؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص400.

[169] المسعودي، مروج، ج5، ص75– 76؛ التنبيه، ص363– 364؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص56– 57.

[170] الطبري، تاريخ، ج11، ص131– 132؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص184– 186؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص224– 226؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

[171] الطبري، تاريخ، ج11، ص142– 144؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص235– 236.

الحقيقة لم يكن دفاعهم هذا طمعاً بجائزة والحصول على غنائم، بقدر ما كان لحماية مدينتهم من سيطرة العسكريين الأتراك، وعبثهم وما قد يرتكبونه بحق أبنائها من مجازر، وخصوصاً أنهم كانوا قد عاشروهم بعض الوقت في عهد المعتصم، وعرفوا أنهم جفاة بعيدين كل البعد عن قيم الحضارة ومعانيها السائدة في بغداد[172].

ومن الأهمية التساؤل عن الأسباب التي أدت إلى هزيمة المستعين، وانتصار المعتز؟ من دون أدنى شك هناك أسباب عدّة ولعل أبرزها:

1- طول مدة الحصار لبغداد التي امتدت أكثر من عشرة أشهر من صفر حتى ذي الحجة/ آذار عام 865م حتى كانون الثاني عام 866م ما أدى إلى سوء الأحوال فيها وانعدام المواد الغذائية وغلاء الأسعار حتى أن القفيز[173] من الحنطة صار بمئة درهم[174]، كما أدى إلى ضعف معنويات البغداديين الذين ألحّوا على ابن طاهر في توفير الطعام ورفع الحصار[175].

2- انحراف كبار القادة عن المستعين، وخذلانه إياه لدرجة أنَّ بعضهم بدأ يفكر بمصالحه الخاصة فقط، ويحرض محمد بن عبد الله بن طاهر على خلع المستعين، ومنهم عبيد الله بن يحيى بن خاقان[176] الذي قال لابن طاهر «إن هذا الذي تنصره، وتجدّ في أمره، من أشد الناس نفاقاً، وأخبثهم ديناً، والله لقد أمر وصيفاً وبُغا بقتلك»، وما

---

[172] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص15؛ ابن العمراني، الإنباء، ص109.

[173] القفيز: مكيال يستخدم للوزن، كان يتسع في بغداد لـ 8 مكاكيك، كل مكوك 3 كيلجات، كل كيلجة 600 درهم، أي نحو 45 كغم (قمح)؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص66.

[174] اليعقوبي، تاريخ، مج2، ص499؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص225.

[175] الطبري، تاريخ، ج11، ص130- 131؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

[176] عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي: أخو الفتح بن خاقان، كاتب عباسي حسن الخط، وله معرفة بالحساب والاستيفاء، استكتبه المتوكل في سنة 233هـ/ 847م، ثم تولى الوزارة له، ولمّا تولى المستعين الخلافة نفاه إلى برقة، وحين أفضت الخلافة إلى المعتمد سنة 256هـ/870م استوزره، فاستمر في منصبه حتى توفي 263هـ/877م ؛ المسعودي، مروج، ج5، ص8، 38، 48، 60، 107؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب الإسلامية، ص235، 246؛ ابن النجار، محمد بن محمود (ت، 643هـ/ 1245م)، ذيل تاريخ بغداد، 3 أجزاء، ملحق بتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1425هـ- 2004م، ج17، ص109- 115.

زال يوغر صدره ضد المستعين حتى غيره عن ولائه[177]، وهذا أدى إلى تقاعس محمد بن عبد الله بن طاهر عن نصرته، وميله إلى المعتز بالله، وفرضه على المستعين خلع نفسه من الخلافة[178]، كما يظهر وجود علاقة سرية بينه وبين جماعة المعتز، فعندما همّ ابن طاهر بقراءة كتاب الشروط على المستعين ليسمعه، قال المستعين له: «لا حاجة لي إلى توكيدها، فما القوم بأعلم بالله منك، ولقد أكدت على نفسك قبلهم، فكان ما علمتَ[179]»، كما خذله كبار القادة الأتراك ولا سيَّما وصيف وبُغا اللذين وافقا على شروط الاتفاق الذي وقعه ابن طاهر مع أبي أحمد بن المتوكل دون مراعاة لموقف المستعين[180].

3- فقدان قوات المستعين روح التعاون والانسجام، وحدوث التنافس بين القواد والانشقاق فيما بينهم، الأمر الذي أدى إلى إخفاق مهمتهما أحياناً[181]، ومن ناحية ثانية وقوع الصدام بين القوات النظامية وقوات العامة والعيارين الذين تميزوا بتصرفاتهم غير المنضبطة، ما دفع ابن طاهر إلى منعهم من الخروج للقتال أحياناً[182]، وعدم جدية بعض الفرق العسكرية المؤيدة للمستعين في التصدي لقوات المعتز، وانسحابها من أرض المعركة وقت اشتدادها؛ ممَّا كان يربك قوات المستعين، ويؤدي إلى تصدع بعض الجهات من الجبهة[183].

4- وقوع قواد المستعين بأخطاء، فقد ترك بعضهم موضعه دون إذن، ما أدَّى إلى خلل في صفوف جيشه[184]، وجرى أحياناً إغلاق الأبواب في وجه المنهزمين كما في وقعة باب قطربل في ربيع الأول/ نيسان، و«كان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من

---

[177] مسكويه، تجارب، ج4، ص188؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص226.
[178] المسعودي، مروج، ج5، ص75؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص398.
[179] ابن الأثير، الكامل، ج6، ص233؛ النويري، نهاية الأرب، ج22، ص227؛ الدوري، دراسات، ص54.
[180] الطبري، تاريخ، ج11، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص227.
[181] الطبري، تاريخ، ج11، ص120، 128؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص181.
[182] الطبري، تاريخ، ج11، ص114- 115.
[183] الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص110؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص216.
[184] الطبري، تاريخ، ج11، ص115- 116.

عـدوهم[185]»، وتكـرر إغـلاق الأبـواب بوجـه المنهـزمين فـي الحـرب علـى الأنبـار أيضاً[186].

5- ميل الأتراك الذين في جيش المستعين إلى أبناء جلدتهم الذين كانوا القوة الرئيسة فـي جـيش المعتـز، فقد هرب بعضـهم منـذ بدايـة الحـرب مـن بغـداد، والتحـق بصـفوف المعتز[187]، ومن جهة ثانية يظهر أن الباقين منهم مع المستعين كانوا يتعاطفون مع أبناء جلدتهم، إذا ما كانت الهزيمة سوف تحل بهم، ففي وقعة شهر ذي القعدة/ كانون الأول، عندما هُزمت الأتراك، وجاءت العامة برؤوس بعض قتلاهم، قال الطبري: «بدت الكراهة في وجوه من مع بغا ووصيف من الأتراك والموالي[188]»، وصار بُغا يقول كلما جيء برأس «ذهبت الموالي»[189].

6- اتباع محمد بن عبد الله بن طاهر خطة عسكرية غير ناجحة تقوم على توزيع قواته لمواجهة قوات المعتز في مناطق مختلفة دون التركيز على مواجهة القسم الرئيس من تلك القوات الذي يحاصر بغداد، فعندما وجه ابن طاهر أبا الساج في منتصف ربيع الآخر/ أيار إلى المدائن، قال أبو الساج له: «إن كنت تريد الجدّ مع هؤلاء القوم فلا تفرّق قُوّادك وأجمعهم، حتى تهزم هذا العسكر المقيم بإزائك، فإذا فرغت منهم فما أقدرك على من بعدهم، فقال: إنَّ لي تدبيراً، ويكفي الله إن شاء الله، فقال أبو الساج: السمع والطاعة»، وسار إلى المدائن وحفر خندقها، وأمده محمد بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل[190].

(185) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص116؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص218- 219.
(186) الطبري، تاريخ، ج11، ص124؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص179- 180.
(187) الطبري، تاريخ، ج11، ص102.
(188) الطبري، المصدر نفسه، ج11، ص129.
(189) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص224.
(190) الطبري، تاريخ، ج11، ص118- 119؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص219.

سادساً . آثار الحرب وتداعياتها:

أدت هذه الحرب إلى إزهاق كثير من الأرواح من أبناء بغداد والمناطق المحيطة بها، ومن قوات الطرفين[191]، وألحقت كثيراً من الأذى الاقتصادي والاجتماعي والعمراني ببغداد والمناطق المحيطة بها، فقد نهبت قوات المعتز القرى بين عكبرا وبغداد، فهرب الناس من تلك القرى، "وسائر القرى من الجانب الغربي تخوفاً على أنفسهم، وخلّوا الغلات والضياع، فخرّبت الضياع، وانتهبت الغلات والأمتعة، وهدمت المنازل وسلب الناس في الطريق"[192]، ولما هجم الأتراك على النهروان، شرّدوا أهلها، وحرقوا سفن الجسر[193]، وبعدما دخلوا الأنبار، وأعطوا أهلها الأمان، غدروا بهم، واستولوا على جميع ما وجدوا فيها من غلات وأرزاق وتجارات، وجمعوا ما فيها من إبل ودواب وحمير وبغال، ووجّهوها إلى منازلهم في سامراء[194]، وكانت بغداد أكثر المدن معاناة من عقابيل هذه الحرب التي ألحقت كثيراً من الخراب والدمار بأبوابها وأسوارها وعمائرها، ونهبت بعض دكاكينها وأسواقها، وعانى أهلها من اشتداد الحصار، وسوء الحال، وانعدام الأقوات، وغلاء الأسعار، واختلال الأحوال الاقتصادية[195].

أدت الحرب إلى انتصار الأتراك المؤيدين للمعتز، وسيطرتهم بأساليبهم الوحشية على مؤسسة الخلافة، إذ جعلوا منها مهزلة عامة، فاستبدوا بها، وتلاعبوا بمقدراتها، فيما كادت سلطة الخليفة تنهار نهائياً، وتنتقل سلطاته إلى كبار القادة العسكريين[196]، وقد أدى شلل الحكومة المركزية إلى تقوية الميول الانفصالية عند بعض الأمراء، وإلى قيام الثورات في جهات متعددة، فكان منها: ثورة الحسين بن محمد العلوي في الكوفة، وثورة

---

(191) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص1631.

(192) الطبري، تاريخ، ج11، ص102؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص168.

(193) الطبري، تاريخ، ج11، ص102؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص216.

(194) الطبري، تاريخ، ج11، ص121– 122؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص221.

(195) الطبري، تاريخ، ج11، ص127، 130– 131؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (ح. و) 251– 260هـ، ص55؛ الصفدي، الوافي، ج8، ص62.

(196) الدوري، دراسات، ص56– 58؛ السامرائي، المؤسسات، ص14، 32.

إسماعيل بن يوسف العلوي بمكة سنة 251هـ/ 865م[197]، وتغلب في سنة 252هـ/ 866م عيسى بن الشيخ الشيباني على دمشق وأعمالها، وقطع الأموال التي كانت ترسل منها إلى دار الخلافة[198].

وكان من تداعيات هذه الحرب وضياع هيبة الخلافة وضعفها، انفصال أقاليم جديدة عن جسم الدولة، وقيام إمارات مستقلة فيها، كالدولة الصفارية في سجستان وخراسان التي كان ابتداء أمرها في سنة 253هـ/ 867م[199]، والدولة الطولونية في مصر التي بدأت مع تولي أحمد بن طولون عليها سنة 254هـ/ 868م[200]. وأدى انحطاط مركز الخلافة أيضاً إلى انفساح المجال أمام التيارات الاجتماعية الثورية المكبوتة لأن تظهر على السطح، وتعبر عن نفسها بشكل عنيف[201]، كما حصل في ثورة الزنج في جنوب العراق (255- 270هـ/ 869- 883م)[202]، وحركة القرامطة[203] التي زعزعت أركان الدولة العباسية وكادت تقضي عليها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

إن استمرار الفوضى والاضطرابات الشديدة للخلافة في ظل سيطرة الأتراك الذين اقترفوا أبشع أنواع الفظائع، واستبدوا بإدارة الدولة، الأمر الذي أدى إلى اختلال أمور الإدارة، وتضاؤل أهمية الوزارة، فأصبح هذا المنصب تحت تأثيرهم، ويتم اختيار المرشح

(197) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص230- 231.

(198) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، 80 جزءاً، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ- 1995م، ج47، ص309- 312 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص44.

(199) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص247.

(200) الكندي، كتاب الولاة، ص212؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص250.

(201) الدوري، دراسات، ص51.

(202) عن ثورة الزنج، انظر: السامر، فيصل، ثورة الزنج، دار المدى، ط2، دمشق، 2000م.

(203) عن حركة القرامطة، انظر: زكار، سهيل، أخبار القرامطة في (الأحساء . الشام . العراق . اليمن)، دار الكوثر، الرياض، 1410هـ- 1989م.

له حسب إرشاداتهم[204]، بل ووصل الأمر إلى أن صار يتولاه أحد الأتراك[205]، ومن ثَمَّ صار من يتولى هذا المنصب إمَّا من صنائع الأتراك وأتباعهم أو منهم أنفسهم[206].

وكان من نتائج الأزمات التي مرت بها الدولة خاصة في عصر النفوذ التركي، ومنها الحرب الأهلية الثانية التي سلف الحديث عنها، إفراغ خزائن الدولة وبيوت الأموال، ممَّا أدى إلى إضعاف علاقة المركز بالأطراف، وقيام الحركات الانفصالية في أطراف الدولة، كما أدت إلى تفشي الفساد والتردي في مؤسسات الإدارة المختلفة، ومن ذلك أنَّ بعض الوزراء لم يعد ينظر إلى الولايات بصفتها أجزاء من الدولة التي تقع عليها مسؤولية إدارتها وإصلاحها، بل صاروا يعدّونها مجالاً لجمع المال، وصار تعيين العمال بغض النظر عن كفاءتهم، ودون مراعاة للصالح العام، ولكن حسب ما يتعهدون بدفعه من الأموال، فشاع نظام الضمان مكان طريقة الجباية، الأمر الذي أدى إلى إرهاق الناس بالضرائب، وتذمرهم واستيائهم من الإدارة[207].

ولم يقتصر نفوذ الأتراك على العاصمة فحسب، بل شمل الولايات الإسلامية الأخرى، "إذ أخذ الخلفاء يقطعونهم تلك الولايات مقابل جزية معينة يؤدونها لبيت المال، وقد جرت العادة أن يبقى هؤلاء الولاة الأتراك إلى جوار الخليفة في العاصمة، ... ويرسلون من ينوب عنهم في حكم تلك البلاد"[208]

---

[204] السامرائي، المؤسسات، ص80- 85.

[205] الطبري، تاريخ، ج11، ص86؛ (ففي عهد المستعين تولى أوتامش الوزارة).

[206] السامرائي، المؤسسات، ص85.

[207] السامرائي، المرجع نفسه، ص166- 167؛ الدوري، دراسات، ص143.

[208] العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت)، ص123.

الخاتمة:

إنَّ الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية التي جرت بين المستعين والمعتز سنة 251هـ/ 865م، واستمرت حتى مطلع سنة 252هـ/ 866م، كانت – في جوهرها- بسبب الصراع بين القادة الأتراك للسيطرة على الخلافة والتحكم بمقدراتها، وقد مرت تلك الحرب بمرحلتين: الأولى لصالح قوات المستعين، في حين كانت الثانية لجيش المعتز، وجاءت نهايتها بانتصار المعتز وخلع المستعين من الخلافة، ولكن هذا لا يعني أنَّ مؤسسة الخلافة استعادت هيبتها ومكانتها في العالم العربي الإسلامي، بل استمرت ضعيفة لا حول ولا قوة فيها للخليفة الذي بات لا يملك من أمره شيئاً، في حين استمر الحل والعقد والإبرام بيد القادة العسكريين الأتراك.

كانت قوات الطرفين متقاربة، وربَّما كانت قوات المستعين أكثر، غير أنَّها خسرت الحرب بسبب عدم انتظام صفوفها مقارنة بقوات المعتز التي تألفت من ثلاثة عناصر رئيسة هي الأتراك والفراغنة والمغاربة، فكانت أكثر انسجاماً وشراسة وعنفاً من قوات خصمها.

كانت بغداد الخاسر الأكبر في هذه الحرب نظراً إلى أنَّ مجرياتها ووقائعها جرت حولها، وفي المناطق المحيطة بها؛ ممَّا ألحق كثيراً من الخراب والدمار والحريق بعمائرها وأسواقها ومنشآتها، ولعل أبرز خسارتها تعود لعدم استعادتها دورها الريادي بصفتها حاضرة للعالم العربي الإسلامي، فيما كانت سامراء بأتراكها هي الرابح الأكبر.

وكان من أبرز تداعيات هذه الحرب زيادة في ضياع هيبة الخلافة العباسية، وفساد الإدارة فيها، وزيادة في استبداد الأتراك وتسلطهم، وتشجيع أصحاب النزعات الانفصالية على الاستقلال بولاياتهم، وتشكيل إمارات مستقلة لهم، كما شجع هذا الوضع أصحاب المطالب الاقتصادية والاجتماعية المكبوتة للقيام بالثورات كما في حركتي الزنج والقرامطة.

المصادر والمراجع:

أولاً – المصادر:

1. ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، 11 جزءاً، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت 1424هـ- 2004م.
2. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تح: عبد الله الطباع، عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ- 1987م.
3. ابن تغري بردي، يوسف (ت، 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 جزءاً، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ- 1992م.
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت، 597هـ/ 1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 19 جزءاً، تح: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ- 1992م.
5. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت، 626هـ/ 1299م)، معجم البلدان، 7 مجلدات، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.
6. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت، 463هـ/ 1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، 14جزءاً، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1425هـ- 2004م.
7. ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 8 أجزاء، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2003م.
8. ابن خلكان، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 مجلدات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
9. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 52 جزءاً، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1411هـ- 1991م.

10. الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، 29 جزءاً، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420هـ- 2000م.
11. الطبري، محمد بن جرير (ت، 310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، 11 جزءاً، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1326هـ- 1908م.
12. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت، 709هـ/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، ط1، حلب، 1418هـ- 1997م.
13. ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت، 685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ- 1997م.
14. ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، 12 مجلداً، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م.
15. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، 80 جزءاً، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ- 1995م.
16. ابن العمراني، محمد بن علي (ت، 580هـ/ 1184م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ- 1999م.
17. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت، 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1325هـ.
18. القلقشندي، أحمد بن علي (ت، 821هـ/ 1418م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، 3 أجزاء، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط2، الكويت، 1985م.
19. الكتبي، محمد بن شاكر (ت، 764هـ/ 1362م)، عيون التواريخ (وفيه من سنة 219هـ إلى 250هـ)، تح: عفيف نايف حاطوم، عاليه، دار حاطوم، 1416هـ- 1996م.

20. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، جزءان، تح: حسان عبد الله المنّان، بيت الأفكار الدولية، الأردن- السعودية، 1425هـ - 2004م.
21. الكندي، محمد بن يوسف (ت، 350هـ/ 961م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
22. المسعودي، علي بن الحسين (ت، 346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن، 1893م.
23. المسعودي، ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، 7 أجزاء، تح: شارل بلا، انتشارات الشريف الرضى، ط1، (د. م)، 1422هـ.
24. مسكويه، أحمد بن محمد (ت، 421هـ/ 1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 5 أجزاء، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ- 2003م.
25. ابن النجار، محمد بن محمود (ت، 643هـ/ 1245م)، ذيل تاريخ بغداد، 3 أجزاء، ملحق بتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1425هـ- 2004م.
26. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت، 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، 33 جزءاً، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ- 2004م.
27. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت، 284هـ/ 897م)، تاريخ اليعقوبي، مجلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ثانياً . المراجع:

أ . المراجع العربية:

1. بيطار، أمينة، تاريخ العصر العباسي، ط4، جامعة دمشق، 1412هـ- 1992م.
2. الخضري، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، كتب حواشيه: محمد ضناوي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2004م.
3. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1988م.
4. دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007م.
5. زكار، سهيل، أخبار القرامطة في (الأحساء . الشام . العراق . اليمن)، دار الكوثر، الرياض، 1410هـ . 1989م.
6. السامر، فيصل، ثورة الزنج، دار المدى، ط2، دمشق، 2000م.
7. السامرائي، حسام قوام، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال المدة (247-334هـ/ 861- 945م)، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1391هـ- 1971م.
8. سعد، فهمي، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار المنتخب، ط1، بيروت، 1413هـ- 1993م.
9. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، ، دار النهضة العربية، بيروت (د. ت).
10. فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية، جزءان، دار الشروق، ط1، عمّان، 2003م.
11. المناصير، محمد عبد الحفيظ، الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي، ط1، عمّان، 1420هـ- 2000م.
12. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط33، بيروت، 1992م.

ب . المراجع المترجمة إلى العربية:

1. لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، (The Lands of the Eastern Caliphate)، تر: بشير فرنسيس – كوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1373هـ-1954م.
2. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ط2، عمّان، (د. ت).

ج . البحوث والمقالات والدوريات:

1. السوداني، عبد الله عبد الرحيم، "أسوار بغداد"، (مجلة المورد، بغداد، العدد الرابع، مج8، 1979م، 21 صفحة).
2. فوزي، فاروق عمر، "الجند الأموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي والعباسي"، (مجلة المورد، بغداد، العدد الرابع، مج8، 1979م، 11 صفحة).